

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
شباب بلا إيمان
تأليف: أودن فون هورفات
ترجمة: حسن على محمود رمضان
1236
الإبداع
القصصى

شباب بلا إيمان

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة الإبداع القصصي
المشرف على السلسلة: خيري دومة

- العدد: ١٢٣٦
- شباب بلا إيمان
- أودن فون هورفات
- حسن علي محمود رمضان
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

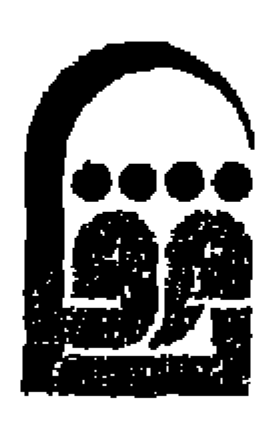
هذه ترجمة رواية:
Jugend Ohne Gott
Von: Ödön von Horváth

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House، El Gezira، Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

شباب بلا إيمان

تأليف: أودن فون هورفات
ترجمة: حسن على محمود. رمضان



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

هورفات ، أودن خون
شباب بلا إيمان : تأليف : أودن فون هورفات ؛ ترجمة : حسن على محمود رمضان
القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨
٢٦٨ ص ، ٢٠ سم (سلسلة الإبداع القصصى)
١ - القصص النمساوية
(أ) رمضان ، حسن على محمود (مترجم)
(ب) العنوان ٨٣٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/١٧٥٤١
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 880 - 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الفهرس

مقدمة المترجم

تعد الترجمة مصدرا مهمًا من المصادر التى تفتح آفاق المعرفة، وتقرب المسافات للثقافات المختلفة بين الشعوب؛ لتخلق مناخا جيدا، تتبادل فيه الثقافات وتنمو فيه المعارف، وتتولد الأفكار، وتتكاثر، ويقترب العالم؛ ليصبح قرية واحدة. ويساعد على ذلك تطور عالم الاتصالات تطورا هائلا، وسريعا، لتسود المعرفة، ويفيد بعضنا البعض.

فالترجمة تسهم بشكل أو بآخر فى ارتقاء البلدان، وتقدمها، وتطورها. وفى هذه الحقبة كان لزاما علينا أن نشارك فى انطلاقنا نحو العالم، نؤثر فيه، ويؤثر فينا، لنؤكد الحوار، وينتهى الصراع.

وقد حاولت أن أخرج لجمهور المثقفين، والمهتمين بالأدب العالمى، قصة من قصص أديب نمساوى الجنسية، ينتمى إلى كل من المجر، والنمسا، وألمانيا، ولكنه لم يستطع أن يعيش فى ألمانيا بصورة رسمية؛ لكتاباته التى كانت مرفوضة من القائمين على الحكم فى ذاك الوقت، والتى – لأسباب كثيرة، منها ما يرجع إلى ظروف عالمية، أو ظروف إقليمية – لم تر النور بصورة واضحة، وجلية إلا بعد أن رحل بفترة زمنية كبيرة، فقد رحل الأديب النمساوى (أودون فون هورفات) عام ١٩٣٧ فى حادث سقوط جذع شجرة كبيرة عليه

فى باريس، ولم تظهر أعماله وتجمع إلا فى مؤتمر كبير عنه فى أكتوبر عام ١٩٧١.

حصل (أودون فون هورفات) على جائزة (كِلَيسْت) فى الأدب عام ١٩٣١، بمساعدة الأديب (كارل تسُوكْ-ماير) الذى قال عنه: إن موهبته فى الكتابة من أقوى المواهب، وإنه من أكثر الأذهان استنارة، وأقوى الشخصيات تعبيرا. وقد ذكر أيضا أن رفض ألمانيا النازية للأديب (هورفات) كان بسبب الاستقامة، والأخلاق التى كان يتمتع بها هذا الأديب. وكان يرتعد أمام الشر الذى كان ينتشر، وينتصر يوميا بلا استحياء فى عهد الرايخ الثالث.

ظهر ذلك جليا فى هذه القصة التى بين أيدينا، وهو يدافع عن الأخلاق، ويهاجم التفرقة العنصرية بين الشعوب، وبالذات الذين تتباين ألوان بشرتهم مع السود.

ونادى أيضا بإيقاظ الضمير الإنسانى معلنا أن كل الناس بشر مهما اختلفت أعراقهم، وأجناسهم. وهذا ما نتفق عليه الآن، ونتطلع إلى مزيد من إزالة الحواجز بين البشر.

وقد كتب (هورفات) فى موضوعات كثيرة تنتقد المجتمع الألمانى فى زمن النازية، والاشتراكية، منها على سبيل المثال: "حرب دون إعلان الحرب"، و"إنهم لا يريدون الحرب"، و"يحيا

السلام"، و"الدم والأرض"، و"الأجناس"، و"الشعب الذى لم يعد يبالى بالتفكير، وإنما بالطاعة العمياء"، وغيرها.

وقد كتب (هورفات) فى جرأة شديدة، أن الحكومات هدفها أن يكون الشعب غبيا، ولا توجد حكومة تهتم بأن يكون شعبها ذكيا؛ إذ إنَّ كل الحكومات تعادى العقل، والعقلاء؛ فهى تكون أكثر قوة، بمقدار مراعاتها لغباء شعبها. وهذا ما دعا أحد القادة الألمان وهو (راينر شلُوسِنْ) أن يقول عن (هورفات): إن (أودن فون هورفات)، امتلك من الوقاحة ما يسمح له بإغلاظ القول للاشتراكيين. وهذا ما دعا الكاتب إلى ترك ألمانيا، والسفر إلى النمسا، وبلاد أخرى. كانت باريس آخر محطة له، فقد سقط ميتا بعد أن سقط عليه فرع شجرة أودى بحياته، وهو فى شبابه، فقد مات (هورفات) عن سبعة وثلاثين عاما.

قصة "شباب بلا إيمان" ظهرت عام ١٩٣٧، وهى من أواخر ما كتب (هورفات)، وفى غضون شهور قليلة ترجمت هذه القصة إلى الفرنسية، والبولندية، والكرواتية، والتشيكية، والسويدية، والهولندية، والدانمركية. وقد أرسل (توماس مان) لـ(تسوكر مان) يمتدح هذه الرواية، ويقول عنها: إنها من أجمل الروايات التى ظهرت فى ذلك الحين.

كما كتب الكاتب الكبير (هرمان هِسّه) عن هذه الرواية: أنها رائعة، وتتغلغل فى الحالة الأخلاقية التى تسود العالم فى هذا الزمن. وأوصى (هرمان هِسّه) صديقه (ألفريد كوبن) بالبحث عن هذه القصة وقراءتها.

يتميز أسلوب (هورفات) بالسهولة، ولكنه فى نفس الوقت يكشف عن الخبايا السياسية وأثرها فى المجتمع.

السود

25 مارس

منضدتى عليها زهور. شىء مفرح. هدية من خادمتى الماهرة، فاليوم هو عيد ميلادى. ولكنى محتاج إلى المنضدة؛ ولذلك أزحت الزهور جانبا، وكذلك أبعدت خطاب والدىَّ المسنين.

كتبت لى أمى: "فى عيد ميلادك الرابع والثلاثين أتمنى لك يا ولدى العزيز كل خير، وحفظك الله ومنحك الصحة والسعادة والرضا!" وكتب لى أبى: "فى عيدك الرابع والثلاثين يا بنىَّ أتمنى أن يعطيك الله القادر السعادة والرضا والصحة".

الحظ يحتاجه الإنسان دائما. وأنت بصحة جيدة أيضا، قلت هذا لنفسى، وحمدت الله. امسك الخشب. ولكن الرضا؟ فى الحقيقة لست راضيا ولكن من هو الشخص الراضى اليوم؟ لا أحد.

جلست إلى المنضدة وأخذت دواية الحبر الأحمر وتلونت أصابعى بالحبر، وتضايقت من هذا. متى يكتشف الإنسان حبرا لا يلطخ؟ أنا لست سعيدا على الإطلاق.

لا تفكر بهذه الحماقة، قلت لنفسى، أنت لديك وظيفة ثابتة ولك الحق فى الحصول على معاش فى زمن لا يضمن فيه أحد حتى أن

يجد الأرض غدا تدور أم لا. كم عدد هؤلاء الذين يتمنون أن يلحسوا أصابعهم لو أنهم يملكون ما تملك.

كم هى النسبة المئوية لعدد من يريدون أن يصبحوا مدرسين. اشكر الله على أنك عضو هيئة تدريس فى مدرسة حكومية، وبدون مشاكل اقتصادية، ولك أن تصل إلى سن المعاش حتى لو كنت غبيا، تستطيع أن تصل إلى المائة من عمرك أو حتى تصبح أكبر معمر فى البلد. ثم تـظهر صـورتك فى مجلة مصورة مكتوب تحـتها: "إنه لا يزال يتمتع بقواه العقلية، هذا بالإضافة إلى أنه يصرف معاشـه"، لا تتكر ولا ترتكب إثما يكفران النعمة. أنا أبتعدُ عن المعصية وأبدأ فى العمل. ست وعشرون كراسة زرقاء أضعها بجانبى ، ستة وعشرون صبيا وصبية فى حوالى الرابعة عشرة من عمرهم كان عليهم فى حصة الجغرافيا أمس كتابة موضوع فى الجغرافيا؛ لأننى مدرس للتاريخ والجغرافيا.

الشمس ما زالت ساطعة بالخارج والحديقة فى هذا الوقت ممتعة ولكن العمل واجب وعلىَّ تصحيح الكراسات وتدوين المجتهد منهم وغير المجتهد فى كراستى.

الموضوع الذى يأتى من الإدارة التعليمية هو: لماذا يجب أن يكون لنا مستعمرات؟ لماذا؟ دعنا نسمع!

التلميذ الأول يبدأ اسمه بحرف الـ"ب" اسمه (بور) واسمه الشخصى (فرنس) لا يوجد فى هذا الفصل طالب يبدأ اسمه بحرف الألف، ولكن هناك خمسة تبدأ أسماؤهم بجرف الـ"ب" من النادر أن تبدأ أسماء خمسة تلاميذ فى فصل يحتوى على ستة وعشرين تلميذا بحرف الـ"ب". ولكن هناك توأمان يبدأ اسمهما بحرف الـ"ب" وهذا يفسر زيادة عدد الأسماء البادئة بحرف الـ"ب".

وبسرعة اطلعت على قائمة الأسماء فى كتيبى وأكتشف أن حرف الـ"س" هو الذى يكاد يصل إلى حرف الـ"ب" فهناك أربعة يبدأ اسمهم بحرف الـ"س" وثلاثة بحرف الـ "م" واثنان للحروف "ي, ج, ل, ر" وحرف واحد للحروف "ف, ه, ن, ت, و, ز" ولا يوجد أسماء تبدأ بحروف " أ, ث , د, ء, ع, ى, ك, ة, ط, ص, ث, ى".

والآن يا (فرانس بَوَر)، ما حاجتنا إلى المستعمرات؟

وكتب هو نحتاج إلى المستعمرات لأننا فى حاجة ماسة إلى المواد الخام؛ فبدونها لا نستطيع أن نتقدم فى صناعتنا، مما سيكون له آثار سيئة ومعاناة ويصبح العامل بدون عمل أى عاطلاً.

هذا صحيح يا عزيزى (بور)، إن هذا الأمر لا يخص العمال فقط، ولكنه يخص كل الشعب؛ لأن العمال ما هم إلا جزء من الشعب، هذا يعتبر بكل المقاييس اكتشافًا هائلاً ما خطر بخاطرى

وتذكرت أن الحكم القديمة تعود لتصبح كلمات رنانة من جديد. هل هذا صحيح؟ لا أعلم. ما أعلمه الآن أنه عليَّ أن أقرأ ستة وعشرين موضوعا. هذه الموضوعات يجب أن تصل إلى نتائج بمقدمات خاطئة. ماذا لو أننا ألغينا كلمتى "خطأ" و"معوج". ولكننا لن نفعل. إنهما يسيران جنبا إلى جنب، ويرفعان أصواتهما بالغناء الأجوف. وعليَّ أن أكون حذرا بوصفى موظفا فى الحكومة ويكون نقدى فى أضيق الحدود. حتى ولو كان هذا مؤلما. فماذا يمكن أن يفعله فرد ضد الكل؟ إنه يستطيع أن يغضب فى سرية، وأنا لا أريد أن أغضب. صحح الموضوعات بسرعة؛ لأنك تريد الذهاب إلى السينما.

ماذا كتب التلميذ الذى يبدأ اسمه بحرف "ن"

"كل السود محتالون وجبناء وكسالى" غباء، يجب عليَّ أن أشطب هذا وأن أكتب بالحبر الأحمر على الجانب "كلام ليس له منطق" ولكن توقفت. ألم أسمع هذه الجملة عن السود من قبل ذلك؟ ولكن أين الصواب، لقد جاءت إليَّ من مذياع فى أحد المطاعم وكادت أن تفقدنى شهيتى. عليَّ أن أترك هذه الجملة، فما يتردد فى المذياع لا يجب على المدرس أن يحذفه.

وكنت أستمع إلى الراديو أثناء قراءة الموضوعات. إنه يتلعثم، ويصيح، وينبح، ويخطئ، ويهدد، والصحف تطبع ما يذاع والأطفال ينقلون هذا كله.

ها أنا الآن قد فرغت من حرف "ز"،"ت" و وصلت إلى حرف هل نسيت كراسة حرف الـــ "و"؟ تذكرت، لقد كان أمس مريضا، لقد أصيب بعدوى فى الرئتين لما كان يوم الأحد فى الإستاد، صحيح، لقد أعلمنى أبوه بهذا كتابيا.

مسكين حرف "و"، ما الذى جعلك تذهب إلى الإستاد فى هذا البرد القارس والمطر؟ هذه الأسئلة كان يجب أن تطرحها على نفسك، هذا ما دار فى خاطرى. كنت موجودا يوم الأحد فى الإستاد بكل جوارحك حتى صفارة النهاية، رغم أن الفريقين لم يلعبا كرة قدم عالية المستوى بالطبع، فاللعب كان مملا للغاية، ولكن لماذا بقيت مع ما يقرب من ثلاثين ألف مشجع؟ لماذا؟

عندما يلعب مهاجم الجهة اليمنى إلى لاعب الوسط الأيسر، وعندما تصل الكرة إلى مهاجم الوسط ويلعبها فى المنطقة الخالية، ويرتمى عليها حارس المرمى، وعندما يساعد لاعب الوسط الأيسر لاعبى الدفاع ويرفع الكرة، وعندما يفقد المدافع الكرة من على خط المرمى، وكذلك عندما يمثل أحد اللاعبين الإصابة، أو يقوم بحركات أخرى، عندما يكون الحكم متحيزا أو غير متحيز، جيد المستوى أو ضعيفه، عندما يحدث هذا كله يكون هذا هو العالم بالنسبة للمشاهدين، لا يهم بعد كرة القدم أن تكون الشمس ساطعة، أو أن السماء تمطر، أو أن الثلج يتساقط. وينسى المشجع كل شىء.

كل شيء؟

يجب أن أضحك. ينسى السود على أكثر ترجيح.

المطر

فى صباح اليوم التالى عندما وصلت إلى المدرسة الثانوية، وهممت بصعود السلم إلى حجرة المدرسين، سمعت صراخا فى الدور الثانى، فأسرعت صاعدا، ووجدت خمسة من التلاميذ؛ وهم حرف الـــ"ى ,ج, ر, ه, ت, " ينهالون ضربا على حرف الـــ"ف". وصحت فيهم: ما هذا الذى تفعلون؟ إذا كنتم تعتقدون أنكم فى حاجة إلى الصراع فليكن، ولكن تتصارعون واحدا لواحد، ولكن خمسة لواحد! إن هذا هو الجبن.

نظروا إلىَّ جميعا دون فهم حتى حرف الـ"ف". الذى كان تحت أيدى الخمسة، وقد قطعت ياقة قميصه.

سألتهم: ماذا فعل لكم؟ ولكن الأبطال لم يتكلموا، وطلبت منهم الإفصاح عن سبب العراك.

اكتشفت أن التلميذ "ف". لم يفعل لهم شيئا، بل على العكس فقد سرق الخمسة منه طعامه، ليس ليأكلوه ولكن حتى لا يكون معه طعام. لقد أخذوا منه (السندوتش) وألقوا به من النافذة إلى فناء المدرسة. نظرت من الشباك فوجدت السندوتش مرميا على حجر رمادى. واعتقدت أن الخمسة ليس معهم طعام، ولقد ضايقهم أن مع الـــ"ف" طعاما وهم ليس معهم. ولكن لا. فجميعهم كان معه طعامه،

وحتى أن حرف الـ"ج" كان معه اثنان. سألتهم مرة أخرى: لماذا فعلتم هذا؟ حتى هم لم يكونوا يعرفون السبب. لقد وقفوا أمامى فى وضع مشين. نعم هناك أناس أشرار، هذا موجود فى الكتاب المقدس. ولكن عندما توقف المطر وابتلعت الأرض ماء الفيضان، قال الرب: "إننى لا أريد بدءا من الآن أن أعاقب الأرض بسبب الإنسان؛ لأن قلب الإنسان به شر منذ صغره".

هل حافظ الرب على عهده؟ لا أعلم. أنا لا أوجه إليكم سؤالا: لماذا ألقيتم بالخبز فى الفناء؟ ولكنى أريد فقط منكم أن تخبرونى، ألم تسمعوا أن هناك من قديم الزمن، من آلاف السنين منذ بدء الخلق أن هناك أعرافا فى حكم القانون: "أنه إذا تصارعتم فليكن واحد ضد واحد؛ حتى تظل أخلاق الفرسان"، ثم التفت إلى الخمسة مرة أخرى وسألتهم: ألا تخجلون من أنفسكم. إنهم لم يخجلوا من أنفسهم، وأعلم أنى أتكلم لغة أخرى. نظروا إلىَّ نظرة فاحصة. وفقط المضروب هو الذى ابتسم، إنه يضحك علىَّ. قلت لهم: أغلقوا النوافذ حتى لا يدخل المطر إلى هنا! قاموا بإغلاقها. ماذا يصبح هذا الجيل؟ جيل خشن، أم جيل عديم الخبرة؟ لم أضف شيئا وتوجهت إلى غرفة المدرسين. وتوقفت قليلا على السلم؛ لأسمع إذا ما كانوا يتصارعون، ولكن الهدوء حل. يا للعجب.

عامة الأغنياء

من الساعة العاشرة حتى الحادية عشرة كان عندى حصة الجغرافيا، وفى هذه الحصة قمت بتوزيع كراسات الواجب التى صححتها أمس عن موضوع "المستعمرات". وكما ذكرت سابقا لم يكن لدى ما أقوله حول مضمون الموضوع، حسب ما تقره القوانين. ولكنى تحدثت أثناء توزيع الكراسات عن ملاحظات عامة: مثل الإحساس اللغوى، وعلامات الترقيم والشكل العام. قلت للتلميذ "ب" إنه كان عليه ألا يكتب فى الهامش الأيسر، وللتلميذ "ر" أن يوسع المسافات بعض الشيء، والتلميذ "ز" أن يكتب كلمة مستعمرات دون "ه".

وعندما أعطيت الكراس للتلميذ "ن" لم أستطع أن أمسك لسانى، وقلت له أنت محق فى أننا أفضل من السود حضارة وأعلى منهم ثقافة، ولكنك أخطأت عندما قلت أنه لا أهمية لهم على الإطلاق، فهم على أى حال بشر. فنظر الطالب إلىَّ بإمعان لحظات وكست وجهه سحابة، أو هكذا خيل إلىَّ، أخذ كراسة بالدرجة الممتازة، وانحنى وعاد إلى مكانه. بعد ذلك اكتشفت أنى لم أكن مخطئا؛ لأنه فى اليوم التالى مباشرة ظهر والد التلميذ "ن" فى موعد مقابلة لأولياء الأمور الذى جعلته أسبوعيا، ويستفسرون فيه عن أحوال أبنائهم

الدراسية وعن أمور أخرى متعددة، معظمها يخص مشاكل التربية. أولياء أمور تلاميذ مدرستنا من الطبقة المحترمة، فمنهم الموظف، والضابط، والتاجر، ولم يكن بينهم أحد من طبقة العمال. مع بعض الآباء كان شعورى أنهم فى مختلف الموضوعات التى نتناولها مع أبنائهم كانوا يفكرون كما أفكر، أو لهم نفس الرأى، ولكننا كنا نتقابل ونتبادل الابتسامات، ثم نتحدث عن الأحوال الجوية، ومعظم الآباء كانوا أكبر منى سنا وواحد منهم كان قد هرم. أما أصغرهم سنا فقد أكمل منذ أسبوعين عامه الثامن والعشرين، تزوج وهو فى السابعة عشرة من ابنة رجل أعمال فى الصناعة، إنه إنسان مهذب. عندما كان يحضر إلىَّ كان يأتى فى سيارته الرياضية، وتظل زوجته فى السيارة، وكنت أستطيع من مكانى أن أرى كفها وذراعها وساقيها، هذا كان كل ما أراه، ولكنها تعجبني. يمكنك أيضا أن يكون لك طفل، ولكنى كنت أسيطر على نفسى. لا معنى لأن آتى بطفل إلى هذه الدنيا؛ حتى يصبه أحد برصاصة فى الحرب!

والآن يقف والد التلميذ "ن" أمامى واثقا من نفسه، ونظر إلىَّ نظرة مباشرة، وقال: أنا والد التلميذ "ن" واسمى "أوتون" ويسعدنى التعرف عليك. رددت عليه التحية، ودعوته للجلوس، لكنه ظل واقفا، ثم قال: أيها السيد المدرس، حضورى إلى هنا له سبب جاد، وأرجو ألا يكون له آثار مؤسفة. فولدى أبلغنى فى غضب ملحوظ أن سيادتكم قد قلتم له ملاحظة غير مقبولة.

أنا؟

نعم أنت.

متى؟

فى نهاية حصة الجغرافيا أمس، الأولاد كتبوا موضوعا عن مشاكل المستعمرات، وقد قلت لابنى أن السود هم أيضا بشر! أنت تفهم مقصدى.

لا، لا أعرف بالضبط. ما الأمر! ثم نظر إلى بتفحص،يا إلهى يبدو أنه غبى؟ أعتقد هذا.

وجودى هنا له سبب، بدأ يقولها مرة أخرى، ويؤكد: "السبب الحقيقى لوجودى هنا، أننى منذ الشباب وأنا أبحث عن العدالة ولذلك أوجه إليك سؤالا: هل كل تعبير غريب عن السود فى هذا الموضوع يعجبك؟ أم لا؟

نعم، رددت عليه، وأنا أبتسم، ثم أردفت: وجودك هنا لم يكن هباء.

أنا آسف لذلك - قاطعنى بلهجة حادة - أنا لا أمزح، يبدو أنك لا تدرك خطورة مثل هذا التعبير عن السود، هذا تخريب للوطن. إنك لا تستطيع التمثيل علىَّ. أنا أعلم جيدا الطرق الخفية التى تحاول

التخفى وراءها، تحت ستار الإنسانية؛ لتدمر نفوس الأطفال الأبرياء بسمك الخفى.

الآن احمر وجهى وقلت له: اسمح لى، إن هذا الكلام موجود فى الإنجيل: "إن أى إنسان هو إنسان".

عندما أنزل الإنجيل لم يكن هناك مستعمرات بالمعنى الموجود الآن، ثم أضاف صاحب المخبز الذى هو فى صلادة الصخر. الإنجيل يجب أن نفهم معانيه مجازا أولا نفهمه؟ هل تعتقد أن آدم وحواء عاشا حبا حقيقيا؟ إنها مجرد رموز! إذا كنت تريد أن أحدثك عن الرب فسوف أقوم بذلك. إنك لن تحدثنى عن أى شىء قلت له هذا مشيرا إلى الخارج. إن هذا بمثابة طرد لى، سوف نتقابل عند "فيلى" مدير المدرسة، كرر نفس العبارة ثم اختفى.

بعد يومين دعانى مدير المدرسة "فيلى" الذى قال لى إنه قد وصلت من الإدارة شكوى ضدك كتبها أحد أصحاب المخابز، يدعى فيها أنك قلت بعض العبارات. أنا أعلم من أين تأتى هذه الشكاوى، وغير محتاج منك إلى أى إيضاح. ولكن بلى، يا عزيزى، فواجبى أن أنصحك بترك هذه الأشياء، وعدم تكرارها، فربما تكون قد نسيت الخطاب السرى رقم 5679 /33، يجب علينا أن نكون حريصين كل الحرص فى التعامل مع الأولاد فيما يخص اشتراكهم فى الخدمة الوطنية فى المستقبل وما قد يؤثر فى ذلك.

هذا يعنى أننا يجب أن نعدهم لخوض الحرب تربويا.

لا تعليق.

نظرت إلى المدير الذى ابتسم لى وقرأ فى عينى ما يدور فى خلدى، ثم وقف وأخذ يسير فى مكتبه ذهابا وإيابا.

وقلت لنفسى: إنه رجل عجوز ولكنه أنيق.

ثم توجه إلَىَّ فجأة بالكلام: إنك لتعجب؛ لأنى أرفع نفير الحرب، ومعك كل الحق.

أى إنسان هذا، منذ عدة سنوات كان قد وقع رسالة عصماء عن السلام، واليوم يعد نفسه للمعارك الدموية.

قلت له، وأنا أحاول أن أجد له مخرجا: أنت مضطر لهذا.

أخذ نفسا طويلا ووقف أمامي ونظر إلىَّ بتفحص:

أيها الشاب، قالها بجدية، يجب أن تلحظ شيئا مهما، وهو أنه لا يوجد شيء اسمه الإكراه. كان باستطاعتى أن أرفض كلام الخباز وأدخل السجن، أو أن أترك مكانى هنا، ولكنى أريد أن أصل إلى سن التقاعد وأن أحصل على معاش كامل.

هذا حقى، قلت هذا لنفسى. ثم أكمل هو: إنك تعتبرنى مستهزئا، ونظر إلى بأبوة صافية وقال: لكن لا. فنحن جميعا، الذين

يتطلعون إلى شواطئ الإنسانية العالية نسينا شيئا مهمًا جدا، وهو الزمن، الزمن الذى نعيش فيه.

أيها الزميل العزيز، من وصل إلى مثل سنى علم الكثير عن حقائق الأشياء.

إنك تتحدث بسهولة، قلت لنفسى، لقد عشتَ الأيام الجميلة، لما قبل الحروب الماضية. ولكن أنا؟

لقد عشت السنة الأخيرة من الحرب الماضية، ولا تسألنى عنها.

نحن نعيش فى عالم العامة، قالها وهز رأسه أسى.

هل تذكر روما القديمة عام 287 ق.م.، والحرب بين العامة وأصحاب السلطة؟

كان للعامة أهميتهم الوظيفية فى الدولة.

اسمح لى، أيها المدير - تجرأت أن أقاطعه- المسيطر عندنا هنا ليس جيش العامة الفقراء ولكن الحاكم هنا هو المال فقط. نظر إلىَّ مرة أخرى وابتسم ابتسامة حاول إخْفاءها، وقال هذا صحيح.

ولكن اسمح لى، أيها المدرس، أن أطلعك على جزء من التاريخ. أنسيت أنه هناك عامة أغنياء؟ هل تتذكر؟

طبعا أتذكر. العامة الأغنياء تركوا الشعب وابتعدوا عنه، وكـــونوا طبقة منحـــطة، فأصـــبحوا أمراء ما يسمـــى بالاستبشار أو التفاؤل.

لا تنس هذا مرة أخرى!

لا، لن أنسى.

الخبز

عندما دخلت الفصل فى حصة أخرى وسمحت لنفسى أن أتكلم عن السود، شعرت فى التو واللحظة أن هناك شيئا غير طبيعى. هل قام الأولاد بسكب حبر على الكرسى؟ لا، لم يفعلوا. لماذا ينظرون إلىَّ نظرة الشماتة هذه؟ رفع أحدهم يده، وسألته عما يريد، فحضر إلىّ وانحنى بأدب وأعطانى خطابا، ثم عاد إلى مكانه. ما هذا؟

فتحت الخطاب نظرت فيه نظرة سريعة، وتمالكت نفسى، وأبديت نفسى كما لو أننى قد قرأت الخطاب قراءة فاحصة. الجميع وقع على الخطاب، الخمسة والعشرون تلميذا، فالتلميذ "و" ما زال مريضا. "نحن لا نريدك مرة أخرى" هذا هو مضمون الخطاب. "نحن لا نريدك أن تدرس لنا؛ لأننا لا نثق بك، ونطلب مدرسا آخر". نظرت إلى التوقيعات والفصل كله يخيم عليه الهدوء والصمت، ولا ينظر أحد منهم إلىَّ. حاولت إخفاء مشاعرى، ثم سألت سؤالا جانبيا:

من كتب هذا؟

لم يجب أحد. لا تكونوا جبناء! ولم يتحرك أحد. حسنا، قلتها ثم وقفت، لا يعنينى من كتب هذا؛ فلقد وقعوا عليه جميعا. قلت لهم: حسنا فليس لدى أيضا الرغبة فى أن أدرس فى فصل فقد تلاميذه الثقة بى. ولكن صدقونى، كنت أود أن، ثم توقفت عن الكلام، فقد

كان هناك تلميذ يكتب شيئا تحت مكتبه. ماذا تكتب هناك؟ أراد أن يخبئه. أمرته: أعطني إياه! أخذت منه الورقة بالقوة وكان يبتسم. وجدتها مكتوب فيها كل حرف نطقت به. آه، أردتم أن تسجلوا عليَّ كلامي! وابتسموا جميعا بشماتة. اشمتوا جميعا؛ لأني أحتقركم. لم أخسر شيئا عند الله، فليأت لكم مدرس آخر يدرس لكم. ذهبت إلى المدير وأخبرته بما حدث، وطلبت منه أن يعطيني فصلا آخر، فابتسم، وقال: هل تظن أن الآخرين أفضل؟ وأخذني وعاد بي إلى الفصل. أخذ يصيح ويضرب بيده، ويزأر ويوبخ التلاميذ، يا له من ممثل بارع، قال لهم: إنها لصفاقة وحماقة وفظاظة منكم أن تطالبوا بمدرس آخر. هل أصابكم جنون؟ ثم تركني وانصرف. وجلست أمامهم. إنهم يكرهونني، ويريدون أن يحطموني كليا ويحطموا معيشتي؛ لأنهم لا يريدون أن يتحملوا سماع أن السود هم أيضا بشر.

ولكن انتظروا، يا أصدقائي، لن تتمكنوا من القضاء عليّ، أو تحطموني. تريدون أن تفقدوني وظيفتي، حتى لا أستطيع الحصول على طعام أو ملابس أو أحذية أو مسكن. هذا ما تريدونه.

ولكنكم لن تحققوا ما تريدون أن تصل إليه حالي؛ فمن الآن وصاعدا سأحكي لكم أنه لا بشر غيركم، ثم أظل أكرر هذا لكم؛ حتى يتغلب عليكم السود. إنكم لا تريدون إلا هذا.

الطاعون

لم أستطع النوم هذه الليلة، فقد كان يمر بعقلى كل ما حدث كأنه "فيلم". هم يريدون تدميرى. لو كانوا هنودا حمرا لصلبونى على عمود التعذيب وسلخوا رأسى، ولفعلوا كل هذا بضمير مستريح؛ لأنهم يعتقدون أنهم على حق. يا لها من عصابة. ربما لم أستطع فهمهم، هل أصبحت عجوزا وأنا فى الرابعة والثلاثين؟ هل الهوة بين جيلَيْنَا أكبر من أن يمكن تخطيها؟ أعتقد أنه لن يمكن تخطيها فى هذه الأيام. لم تكن المشكلة فى رفض الصغار لكل ما هو مقدس بالنسبة لى، ولكن الطامة الكبرى هى طريقة الرفض القائمة على عدم العلم، بل أكثر من هذا إنهم لا يريدون أن يتعلموا.

إنهم يكرهون التفكير.

إنهم يحتقرون الناس، ويريدون أن يتحولوا إلى ماكينات: مسامير وأطر وبساتم وشنابر، بل الأفضل من أن يصبحوا ماكينات أن يتحولوا إلى قنابل ومتفجرات. إنهم يريدون الموت فى أى معركة. أن يكتب اسم أحدهم على قبر الجندى المجهول هو حلم مُرَاهَقَتِه.

انظر أليس هذا هو أكبر فضل، الاستعداد للتضحية على أعلى مستوى؟ هل يدور كل هذا حول حق؟ أو ما الشىء الذى يدور حوله؟ "الحق هو الشىء الذى تعتقده جماعتك"، هذا ما يذاع فى الراديو،

"الشيء الذى لا يحقق لنا مصلحة فهو بعيد عن الحق". وعلى هذا فإن كل شيء مباح: القتل والسرقة و الحرائق. إن هذه الأشياء ليست مباحة فقط ولكنها تكون مطلوبة إن كانت فى مصلحة القبيلة. ما هذا؟!

هذه هى نقطة التحول إلى الإجرام.

عندما خاف الأغنياء فى مدينة روما القديمة من أن الشعب سيثور للمطالبة بتخفيض الضرائب، عادوا إلى برج "الدكتاتور"، وحكم الشعب على الأمير "بتريسير منانليس كابتلنيس" بالموت؛ لأنه لم يسدد من ماله ديون المدينين من الشعب، وبذلك اعتبر خائنا وحكم عليه بالموت وألقى من على صخرة عالية.

منذ أن قام مجتمع إنسانى لم نستطع أن نتفادى الأعمال الإجرامية، ولكنها لا تظهر؛ لأنها مشينة ونخاف أن نعلنها.

وإنه للأسف اليوم يتباهى الناس بالأعمال الإجرامية.

إن هذا طاعون.

كلنا ملوثون بهذا: الأصدقاء والأعداء. قلوبنا امتلأت بالنقاط السوداء. سنموت قريبا وسنبعث بعد ذلك لحياة أخرى، ولكننا فى الواقع أموات الآن، حتى أن نفسى قد ضعفت؛ لأنى عندما أقرأ الصحف وأجد فيها خبرا أن واحدا قد مات، فإنى أقول فى نفسى هذا قليل، قليل جدا. ألم أقل اليوم أن كل شيء جائز؟ لا، لا يجب أن أفكر

فى أى شيء اليوم سوى أن أغسل يدى وأذهب إلى المقهى وهناك ممكن أن أجد من ألعب معه "الشطرنج". علىَّ أن أخرج من غرفتى هذه، أحتاج أن أشم الهواء. الزهور التى كانت خادمتى قد أهدتها إلىَّ، وذبلت، ومصيرها القمامة؛ لأنها عندى من يوم الأحد. ولن أجد على المقهى أحدا أعرفه. ماذا أفعل الآن؟ سأذهب إلى السينما؛ ففى العرض الأسبوعى قبل الفيلم أرى عامة الأغنياء يكشفون القناع عن أنفسهم ويكشفون عن تماثيل لهم ويقيمون استعراضات. بعد ذلك يأتى فأر صغير ينتصر على قط كبير، وبعد ذلك يعرض فيلم بوليسى، تطلق فيه النار كثيرا جدا؛ لكى يُحتَفلُ بنشوة الانتصار. وعندما خرجت من السينما كانت ظلمة الليل قد حلت، ولكنى لم أذهب إلى حجرتى؛ فأنا أخاف من أن أكون وحيدا فى حجرتى. هناك حانة قريبة، سأذهب إلى هناك لأشرب شيئا إن كان رخيصا. فعلا الأسعار ليست عالية. دخلت إلى الحانة واقتربت من فتاة أرادت تسليتى وسألتنى من تلقاء نفسها: هل أستطيع الجلوس معك؟ أجبتها: لا. تراجعت الفتاة مستاءة فقلت: أنا لم أقصد الإساءة إليك أيتها الفتاة، فلا تغضبى منى؛ فإنى أريد أن أجلس بمفردى.

عصر السمك

بعد أن تناولت ستة كؤوس من خمر (الشنبينه) فكرت فى أن أخترع سلاحا ضد كل سلاح. يجب أن نوجد سلاحا يوقف كل سلاح، بقول آخر سلاح يستطيع أن يوقف كل سلاح. أه لو كنت مخترعا، كنت سأخترع كل شيء، لو كنت مخترعا؛ لكان العالم أكثر سعادة.

ماذا كان سيخسر العالم لو أننى لم أر نوره؟

ماذا كانت الشمس ستقول؟

ومن كان سيسكن فى حجرتى؟

لا تسأل مثل هذه الأسئلة؛ فأنت الآن سكران إذن. أنت موجود، فماذا تريد أن تعرف عن أشياء لا تستطيع معرفتها؟

هل كانت حجرتك ستكون موجودة أصلا إذا لم تولد أنت؟

ربما لم تكن الشجرة التى عمل منها سريرك قد قطعت. ألا تستح من نفسك أيها الحمار! تسأل أسئلة لا معانى لها، كتلميذ خائب لا يعرف عن عصر التنوير شيئا ويصدر فتاوى فى أشياء لا يستطيع فهمها. لا تبحث فى الغيب واشرب أفضل كأسك السابعة. شربت وشربت. أيها السيدات والسادة، أنا لا أحب السلام وأتمنى الموت لنا جميعا. وليس الموت السهل البسيط، ولكن يجب أن نعذب بطريقة

معقدة. يجب أن يعود التعذيب مرة أخرى؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يكف عن ذنوبه؛ لأن الإنسان سيئ. بعد الكأس الثامنة أومأت لعازف البيانو تحية رغم أن موسيقاه كانت تثير غضبي حتى الكأس السادسة.

لم ألحظ على الإطلاق أن هناك سيدا يقف أمامي وتحدث إلي مرتين، وانتبهت إليه في المرة الثالثة، وعندما رأيته تعرفت عليه من الوهلة الأولى، إنه السيد (يوليوس قيصر) كان زميلا في مدرسة البنات ووقع في شيء مخز؛ فقد ضبط مع فتاة قاصرة، وحكم عليه بالسجن، ولم نره لمدة طويلة. وسمعت أنه يعمل بائعا يتجول من بيت إلى بيت. وهو يبيع دبابيس الكرافتات وأباجورات على شكل أسقف البيوت، بها لمبة تعمل ببطارية يضعها في جيبه، وعندما يضغط على رأس الأباجورة تضيء اللمبة ولونها أحمر، وكان بهذه الطريقة يعرض بضاعته ويجذب زبائنه. وأنا لا أعلم كيف تأتّى أن يكون بجانبي ويتناقش معي مناقشة ساخنة، لقد كنت سكرانا، ولم أستطع أن أتذكرإلاّ شيئا واحدا من الأشياء التي تحدث معي فيها (يوليوس قيصر). قال: الأشياء التي تذكرها أيها الزميل العزيز ليس لها قيمة الآن.

حان الوقت لأن تتحدث إلى إنسان ليس عنده أمل في شيء، ينظر إلى الأشياء على حقيقتها وإلى اختلاف الأجيال دون رشوة. أيها الزميل أنت وأنا جيلان وأبونا آدم، والتلاميذ في فصلك من جيل

آخر وأبوهم أيضا آدم، وبهذا نكون ثلاثة أجيال بينها فروق كبيرة. أنا عمرى 60 عاما، وأنت فى العقد الثالث، وأعمار تلاميذك تدور حول 14 عاما. اسمعنى جيدا، لكل جيل ما يميزه، وأهم ميزة عندهم هو الشباب. قلت له: لا تجعلنى أمل حديثك! قال: حتى ولو كان حديثى مملا فيجب أن تسمعنى جيدا، فأنا على سبيل المثال مشكلة المشاكل عندنا فى فترة مراهقتنا كانت النساء، وأقصد بهن النساء اللاتى لم يكن من الممكن الحصول عليهن، ففى وقتنا كانت الأمور على غير ما هى عليه الآن، وكان شغل الشباب هو إشباع الرغبة بممارسة العادة السرية، التى كانوا يخيفوننا من مضارها الصحية، والتى اكتشفنا فيما بعد أن كل ما كان يقال عنها كان هراء. بكلمات أخرى: عرقلتنا النساء فتدحرجنا إلى الحرب العالمية.

عندما جئتم إلى الدنيا أيها الزميل كانت الحرب فى أجمل أوقاتها، ولم يكن هناك رجال. والنساء لم يعد مرغوبا فيهن. بالنسبة لجيلكم صارت النساء قديسات، لذلك لم يكن إشباع الرغبة دون توقف يفيدكم وأنتم تتطلعون إلى الطهر. بكلمات أخرى فإن الذى حدث هو العكس، فالنساء هن اللاتى تطلعن إليكم؛ لإشباع الرغبة، وكانت مشكلتهن الحصول على الرجال.

يا زميلى، إنك مصاب بفرط القوة الجنسية. - كيف ذلك؟- لأنكم ترون الخليقة من منظور جنسى، هذا علامة مميزة لجيلكم، وخصوصًا من هم فى مثل سنك.

عليك ألا تظل فى السرير، بل عليك أن تستيقظ، وتفتح الستائر وتخرج إلى النور!

وماذا سنرى فى الخارج؟ لا شيءَ جميلٌ، ولكن اخرجوا رغم ذلك!

إنك بالنسبة لى لست سوى شخص يريد أن يعيش فى العصر الرومانسى.

أرجوك، لا تقاطعنى بعد ذلك، واجلس بهدوء، فسوف نصل إلى الجيل الثالث، من هم في الرابعة عشرة: النساء لا تشكل لهم أى مشكلة؛ فلم تعد هناك امرأة تحافظ على نفسها.

المرأة تدرس الآن، وتتعلم التجديف والرياضة، تتمشى فى الشوارع. شيء لا يصدق.

هل تشعر كما أشعر أن النساء تزداد جاذبيتهن؟

أنا، لا بالطبع. المشكلة بالنسبة لشباب هذا الجيل أنهم لا يعيشون مراهقة سليمة، لا جنسيا ولا سياسيا، ولا أخلاقيا، الخ.

كل الأمور اختلطت ومزجت. كل شيء وضع فى وعاء واحد. الأكثر خزيا من هذا، أنك ترى اليوم يُحْتَفَل بالهزيمة أكثر من الاحتفال بالنصر. وبالإضافة لذلك فإن الشعور الداخلى للشباب لا يؤخذ مأخذ الجد على الرغم من أن كل شيء – من ناحية أخرى

– ميسر لهم، عليهم فقط استيعاب ما يقال فى الراديو، وترديده للحصول على أعلى الدرجات، ولكن الحمد لله أن هناك قلة لا تؤمن بذلك.

من هؤلاء؟ اِقْتَرَبَ منى بعد أن نظر يمنة ويسرة ثم قال لى فى صوت خفيض: إنى أعرف امرأة لها ابن اسمه (روبرت) وهو يذهب إلى المدرسة الثانوية وعمره 15 سنة. قرأ قريبا كتابا فى السر. لا ليس كتابا جنسيا، وعنوان الكتاب "حول كرامة الحياة الإنسانية"، هذا الكتاب ممنوع تداوله منعا باتا.

نظر كل منا للآخر وشربنا.

أتعتقد أن أفرادا من هذا الجيل يقرءون سرا؟

أعرف أن كل امرأة لها ابتسامة، وأن كل الشباب يقرءون؛ حتى يمكنهم السخرية والاستهزاء. إنهم يعيشون فى جنة الغباء، ومثلهم الأعلى هو السخرية. سيأتى عصر بارد، هو عصر الأسماك.

عصر الأسماك؟

إننى مجرد شاهد عيان، ولكن الأرض تدور دوران السمك، وستكون روح الإنسان عديمة الحركة، كما أن رموش السمك عديمة الحركة.

هذا هو كل ما أدركته من حديثى مع (يوليوس قيصر)، ولقد لاحظت أنه كان كلما بدأت الكلام كان يضيء هذه اللمبة؛ وذلك حتى أقع فى الخطأ، ولكنى لم أقع فى الخطأ رغم أنى كنت سكرانا. وعندما استيقظت وجدتنى فى حجرة غريبة وسرير ليس سريرى. كان الجو مظلما، وسمعت صوت تنفس، كان لامرأة. إنها نائمة. هل أنت شقراء؟ أم بيضاء، أم سوداء، أم حمراء؟ أنا لا أتذكر شيئا. كيف تبدين؟ هل أضيء المصباح؟

لا. شكرًا سأنام.

بكل حذر وقفت ثم ذهبت إلى الشباك. إننا فى المساء ولا أرى أى شيء بسبب الضباب.

هناك فقط عمود نور يسقط ضوءه على الضباب، والضباب يظهر كما لو كان ماءً، كما لو كان الشباك تحت المياه. لا تنظر إلى الخارج، وإلا أتت الأسماك لتنظر إلى الداخل.

حارس المرمى

عندما عدت فى الصباح إلى منزلى كانت الخادمة فى انتظارى، وهى فى أشد القلق علىَّ وقد أخبرتنى أن هناك من ينتظرنى منذ أكثر من ثلث ساعة، وقد أجلسته فى (الصالون). سألتنى: أين كنت؟ وأجبتها بأنى كنت عند معارف لى يسكنون خارج المدينة، وقد فاتنى القطار واضطررت للمبيت عندهم.

دخلت إلى الصالون ووجدت رجلا قصير القامة عاديا يقف بجوار البيانو ويقلب فى صفحات النوتة الموسيقية. لم أعرفه على الفور. كانت عيناه منتفختين، وبدأت أبحث فى ذاكرتى، وفكرت أن يكون انتفاخ عينيه بسبب البكاء. أخبرنى أنه والد التلميذ "و" أيها المدرس يجب أن تساعدنى؛ فقد حدث شىء فظيع، ابنى سوف يموت. – ماذا؟

نعم. لقد أصيب بنزلة برد شديدة جدا منذ أسبوع فى إستاد كرة القدم، وقال الطبيب إن إنقاذ ابنى يحتاج إلى معجزة، ولسنا فى عصر المعجزات. أيها المدرس إن أم الولد لا تعلم شيئا عن هذا؛ فلم أقو على إخبارها. ابنى الآن فى غيبوبة يفيق منها من حين لآخر، وحرارته عالية جدا. ودائما ما يطلب رؤية شخص. – أنا؟

لا، أيها المدرس، إنه يريد رؤية حارس مرمى كرة القدم الذى لعب يوم الأحد مباراة عظيمة، وهو مثله الأعلى. – وأنت تريدنى أن أجده لك، وأرجوه أن يأتى؟

أنا أعرف أين يقيم وسوف أتحدث معه وسوف آتى به إليك، اذهب أنت الآن. وانصرف الرجل.

بدلت ملابسى بسرعة وخرجت إلى حارس المرمى، وكان يسكن قريبا منى، .وأعرف محل الرياضة الخاص به والذى تديره أخته. ولكن اليوم هو الأحد والمحل مغلق، ولكن حارس المرمى يسكن فى نفس المنزل فى الدور الثالث. كان يتناول إفطاره، كانت الغرفة مليئة بتذكارات النصر، وكان على استعداد تام للحضور معى حالا، فترك إفطاره ونزل السلم بسرعة قبلى، وأخذنا تاكسى، ولم يدعنى أدفع الحساب.

قابلنا أبا الولد على باب المنزل، وبدا لى أنه أكثر اصفرارا عما كان عليه عندى وغير متماسك. قال إن الطبيب موجود الآن، وطلب منا الدخول. وشكر حارس المرمى على مجيئه. كانت الغرفة التى يرقد فيها الطفل نصف مظلمة وهو يرقد على سرير عريض فى ركن الحجرة، ولونه أحمر. تذكرت أنه أقصر تلميذ فى الفصل، وأمه كانت أيضا قصيرة. ظل حارس المرمى الطويل، الذى كان التلميذ معجبا ومتيما به واقفا أمام التلميذ لفترة طويلة. كان التلميذ أحد

الآلاف الذين يحتفون بحارس المرمى ويشجعونه ويهتفون له ويتمنون الحصول على توقيعه ويجلسون خلف مرماه ويعرفون كل شيء عنه، ويطاردونه في كل مكان يظهر فيه. جلس حارس المرمى على السرير في صمت بجوار التلميذ. اقتربت الأم من السرير ونادت على ابنها قائلة: (يا هاينريش)، حارس المرمى هنا! فتح الولد عينيه ورأى حارس المرمى وابتسم له. – لقد حضرت؛ لأنك طلبت حضوري. سأله التلميذ: متى ستلعبون ضد إنجلترا؟ أجاب حارس المرمى: الله أعلم؛ فالاتحاد به خلافات حول الموعد، ونحن مثقلون بالمواعيد، وأعتقد أننا سنلعب ضد (إسكتلندا). إنَّ اللعب أمام الإسكتلنديين أسهل، فهم يصوبون من كل مكان وفي كل وقت. قال التلميذ: احك لي! احك لي!

وبدأ حارس المرمى يحكي عن أشهر المباريات التي فازوا بها وبعض الهزائم التي لم يستحقوها، وعن الحكام المتشددين، وعن فساد حاملي الراية. ثم وقف ووضع كرسيين وكأنهما مرمى وأوضح كيف أنه تصدى لضربتين واحدة تلو الأخرى، ثم أشار إلى جرح في الجبهة كان قد أصيب به في (لشبونه)، عندما استعرض في التصدي لإحدى الكرات. ثم تحدث عن البلاد البعيدة التي تحتمي في مقدساتها في إفريقيا، وعن البلاد التي يجلس البدو بأسلحتهم وسط المشجعين، ثم تحدث عن الجزيرة الجميلة ماطا، التي كانت أرضية الإستاد بها

مغطاة بالحجارة. وأثناء تحدث حارس المرمى مات التلميذ وهو يبتسم فى سلام.

مراسم الدفن كانت فى يوم أربعاء بعد الظهر، حوالى الواحدة والنصف، شمس مارس كانت ساطعة وعيد القيامة لم يكن بعيدا، وقفنا عند القبر المفتوح، وكان التلميذ مسجى فى تابوت داخل القبر. مدير المدرسة كان حاضرا مع كثير من الزملاء، فقط مدرس الفيزياء لم يحضر فهو حالة غريبة.

ألقى القس خطبة الوفاة، ووقف والدا التلميذ وبعض أقاربهم وتحجرت مشاعرهم، وفى المقابل وفى دائرة وقف زملاء المتوفى فى الفصل، الخمسة والعشرون تلميذا.

بجوار القبر وضع إكليل من الزهور: الزهور الصفراء والخضراء كتب عليها "آخر تحية من حارس المرمى". وبينا القس يتحدث عن الزهور التى تزهر وتذبل، وقع نظرى على الطالب "ن" كان واقفا خلف "ل "و"ه" و"ف". نظرت إليه طويلا ولم يكن يبدو على وجهه أي تأثر. ونظر إلىَّ. إنه عدوك اللدود – شعرت بذلك – إنه يعتبرنى مفسدا.

انتظروا عندما يبلغ، سوف يدمر كل شيء حتى ذاكرتى. إنه يتمنى من كل قلبه أن أكون تحت الثرى، ومع ذلك سيدمر قبرى حتى لا يعلم أحد أنى كنت حيا يوما من الأيام. ثم بدا لى أنه لا يجب علىَّ

أن أظهر أنني أعرف ما يفكر به وما يدور بداخله. وقلت لنفسى: احتفظ بكل هذا لنفسك. مثلك الأعلى سيأتى بعد "ن". صديقى، ستعلم أننى سوف أعيش. وعندما كان كل هذا يدور فى رأسى وجدت تلميذا آخر يحملق فِيَّ، إنه الطالب "ت" ، وكان يبتسم فى هدوء ويفكر فى روية.

هل قرأ ما يدور فى عقلى؟ إنه يبتسم ابتسامة عجيبة وعيناه مصوبتان نحوى بلا خجل ولا تتحركان ولا تلمعان. هل هو سمكة؟

الحرب الشاملة

منذ حوالى ثلاث سنوات صدر مرسوم من الجهات العليا بمنع أجازة عيد القيامة، هذه الأوامر وصلت إلى كل المدارس المتوسطة وتضمنت هذه الأوامر إلغاء مخيم عيد القيامة، ومخيم عيد القيامة تدريب عسكرى لما قبل العسكرية. كان على التلاميذ أن يذهبوا لمدة عشرة أيام إلى المناطق الخالية، ما يسمى بالطبيعة الخالية، وهناك يعاملون كجنود، يعيشون فى خيام تحت قيادة مدرس الفصل ويتولى تدريبهم أحد المحالين إلى المعاش من الجيش، يدربون فى هذه الفترة على المشية العسكرية، ومن سن الرابعة عشرة يتدربون على الرماية والتصويب بالسلاح. بالطبع كان هذا يسعد التلاميذ، ولم نكن نحن المدرسين أقل سعادة بهذا منهم؛ لأننا نحب لعبة (العسكر والحرامية). يوم الثلاثاء التالى لعيد القيامة كان سكان القرى البعيدة يسمعون صوت (كلاكس) الأتوبيس الذى يقلنا، وكأنه عربة مطافئ. الدجاج والبط كانت تجرى، تطير وتهرب والكلاب تنبح علينا. فى الأتوبيس غنى التلاميذ: "الشباب هاهم، الشباب القادم من المدينة". تحرك الأتوبيس بنا الساعة الثامنة من أمام المدرسة، وكانت الساعة الثانية والنصف عندما توقف الأتوبيس أمام بوابة الطريق فى المنطقة. حيانا العمدة وألقى المندوب العسكرى التحية العسكرية. وكان مدرسو

القرية موجودين. وأتى القس مسرعا؛ فقد تأخر. وكان رجلا بدينا ولكنه لطيف.

أشار العمدة فى الخريطة إلى المكان الذى سنخيم فيه. إن أردنا الذهاب سيرا فسنحتاج ساعة.

الشاويش موجود الآن فعلا هناك، كما أخبرنا الضابط.

حمل اثنان من القوات الخاصة الخيام إلى هناك فى وقت مبكر.

التلاميذ مشغولون بالنزول من الأتوبيس وجمع الحقائب، وأنا أنظر إلى الخريطة. القرية ترتفع عن مستوى سطح البحر 761 مترا ونحن قريبون من جبل عال، ارتفاعه 2000 متر، وبيننا وبينه المرتفاعات والثلوج الكثيفة الدائمة.

سألت العمدة عن موقع فى الخريطة، فقال هذا مصنعنا، إنه أكبر مصنع لتقطيع الأخشاب بالمنطقة، ولكن للأسف فإنه معطل منذ عام عن العمل. وهذا بسبب أنه لا يدر مكسبا كبيرا، قالها وهو يبتسم، والآن عندنا عاطلون كثيرون عن العمل.

نحن نمر بأزمة.

تدخل المدرس فى الحديث قائلا: إن مصنع تقطيع الأخشاب يملكه جماعة على غير وفاق مع أولى الأمر.

قلت فى نفسى: أنا أيضا.

وأضاف أن القرية فقيرة جدا، ونصف سكانها يعيشون من العمل الإضافى السرى بأجر حقير، وثلث سكان القرية يعانون من نقص التغذية، بل سوئها.

ويضيف المسئول عن التدريب ويقول: كل هذا يحدث فى هذه القرية على الرغم من أنها تقع فى منطقة جذابة.

قبل أن نغادر المكان ذاهبين إلى معسكرنا أخذنى القس جانبا وقال لى: أيها المدرس، إنى أريد أن ألفت انتباهكم إلى شىء، وهو أنه هناك قصر قديم يقع على بعد ساعة ونصف من المعسكر، يسكن فيه بنات فى نفس عمر تلاميذك، وهن يتسكعن طوال النهار وجزءا من الليل، فكن على حذر؛ حتى لا تأتينى بشكوى.

فقلت: سوف أكون حريصا . فقال: لا تسئ فهمى فإنى بعد ٣٥ عاما على كرسى الاعتراف وما يرد عليه، يجب أن آخذ حذرى عندما تكون المسافة يمكن قطعها فى ساعة ونصف. ولا تنس أن تأتينى أيها المدرس، فقد وصلنى نبيذ جيد.

فى تمام الساعة الثالثة أخذنا طريقنا إلى المعسكر سيرا على الأقدام، مررنا فى أول الأمر على مضيق ثم على مرتفع ومنه نظرنا إلى الوادى، هناك تفوح رائحة منطقة (الهارتس)، وهى منطقة واسعة

ممتدة بها غابات كثيفة. وصلنا أخيرا إلى منطقة المروج الخضراء التى يقع فيها المعسكر، وبالقرب منها توجد سلسلة جبال.

جلس الشاويش ومساعدان أمام المعسكر يلعبون الورق، وعندما لاحظوا وصولنا هبوا واقفين، وقدم الشاويش نفسه لى بطريقة عسكرية. هو رجل فى الخمسين من عمره فى الاحتياط. كان يلبس نظارة عادية، وبالتأكيد هو رجل منضبط. والآن بدأنا العمل. الشاويش والمساعدان يشرحون للتلاميذ كيفية نصب الخيام ونصبت معهم خيمة، فى وسط المعسكر تركنا مربعا خاليا؛ وذلك لرفع العلم الخاص بنا فيه. بعد ثلاث ساعات كنا قد أقمنا المعسكر. حيانا المساعدان بعدها وعادَا إلى القرية. بجوار العلم صندوق كبير به الأسلحة. ونصبنا الأهداف المصوب إليها، وهى عبارة عن تماثيل خشبية لعساكر لها زِىٌّ غير الزى الخاص بنا. حل المساء وأوقدنا النار وبدأنا نطبخ. كان ما طبخناه لذيذا وبدأنا نغنى أناشيد عسكرية. تجرع الشاويش كأسا من (الشنابس) وبُحَّ صوته. وهبت الريح من ناحية الجبل. وقال التلاميذ: إن هذه الرياح تأتى من مناطق ثلجية، ثم بدءوا فى السعال.

تذكرت على الفور زميلهم "و" المتوفى.

لقد كنتَ أصغرهم ولكنك كنت ألطفهم، وأعتقد أنك أنت الوحيد الذى لم يكن ليكتب عن السود، ولذلك كان يجب أن ترحل.

أين أنت الآن؟

هل أخذتك الملائكة، كما نسمع فى القصص الخيالية؟

هل طارت بك إلى المكان الذى تلعب فيه الكرةَ أرواح لاعبى كرة القدم؟

فى المكان الذى يكون فيه حارس المرمى ملاكا وكذلك الحكام، الذين يصفرون عندما يطير أحد إلى الكرة؛ لأن هذا هو التسلل (الأوفسايد) فى السماء.

هل حصلت على مكان جيد؟

بالتأكيد نعم، فهناك يجلس كل واحد على منصة فى الصف الأول وفى المنتصف، ولا يوجد أحد من الأشرار الذين يجلسون خلف المرمى، لا يستطيعون أن يشاهدوا المباراة، لأن هناك عماليق يمنعونهم.

لقد حل الليل.

قال الشاويش، حان موعد النوم، وسيبدأ الجد صباح الغد.

نام الشاويش معى فى خيمتى. وهو يشخر. أوقدت المصباح؛ لأرى كم الساعة، ثم رأيت بجوارى على الخيمة بقعة بنية حمراء. ما هذا؟

وتذكرت كلام الشاويش: غدا يبدأ الجد، وهناك بجوار العلم صندوق مليء بالسلاح، فغدا تبدأ الحرب. نعم الحرب.

نحن في أرض الطابور، وأتذكر المساعدين والشاويش الموجود على قائمة الاحتياط ويجب أن يعطي أوامره إلى العساكر الخشبية التي سيطلق عليها التلاميذ النار لتعلم النيشان. ثم تذكرت المدير والتلميذ "ن" ووالده ومصنع الأخشاب المعطل وأصحابه، وأتذكر القس المبتسم والشراب والسود الذين يجب ألا يعيشون والعمال الذين يعملون في السر، ولا يستطيعون العيش، وأتذكر القيادات والأطفال الذين يعانون سوء التغذية، وأتذكر السمك.

نحن نقف جميعا في أرض الطابور. من منا في المقدمة؟

الرياح تعصف ليلا والشاويش يشخر. ما هذه البقعة البنية؟

هل هي دم؟

الإله فينوس يسير بخطى عسكرية

سطعت الشمس واستيقظنا ثم تحممنا فى مجرى المياه وأعددنا شايا، وبعد الإفطار نظم الشاويش التلاميذ فى طابورين بدأ بالأقصر فالأطول. وبأسمائهم وشكلهم فى مجموعات وقال لهم: لن نقوم بالرماية اليوم، بل سنقوم ببعض التمارين. والشاويش يدقق فى انتظام الطابور تماما وبعين فاحصة يأمر بالتقدم قليلا، أو الرجوع قليلا. الثالث يقف بعيدا عن الطابور بمسافة كيلو متر. الثالث هو "ز". ما أصعب أن يكون فى طابور منضبط كهذا.

وفجأة سمعت صوت "ن" قائلا لـــ"ز": تعال هنا، يا غبى!

تأفف الشاويش وقال: لا، ليس بهذه الخشونة. فى الماضى كان يمكن أن نشتم العساكر ونلعنهم، أما اليوم فلا يجب أن يكون هناك إهانة لأحد. لاحظ هذا!. فرقة للأمام سر! وأمرهم أن يكون الأطول فى الأمام والأقصر فى الخلف، بعد قليل سنصل إلى الغابة، بعدها كانوا قد اختفوا فى الغابة اثنان ظلا معى فى المعسكر وهما "م" و"ب". كانوا يقشرون البطاطس ويطبخون الحساء بكل همة. فجأة نادى "م": أيها المدرس، انظر من يمشى فى خطوات عسكرية نحونا؟ نظرت فوجدت حوالى ٢٠ فتاة يمشين فى خطوات عسكرية منظمة فى اتجاهنا وعلى ظهورهن حقائب ثقيلة، وعندما اقتربن

سمعناهم يغنين أغان عسكرية. أصوات الطبول تعلوا. رأين معسكرنا وتوقفن. أمرتهن قائدتهن بشيء ثم توجهت بمفردها إلينا. ولما اقتربت منا بمسافة عشرين مترا توجهت إليها، وتعارفنا. هي مدرسة بنات كبيرة وهي تدرس لهؤلاء الفتيات، وهن يقمن في القصر الذى نبهني إليه القسيس.

رافقت زميلتي إلى تلميذاتها، وهن ينظرن إليَّ بإعجاب. ويبدين كبقر في مزرعة. لا يا سيدى القس، لا تخف، فإن كل ما يجذب إليهن غير موجود بالمرة. عرق واتساخ وعدم أناقة في الملبس، كل هذا يجعل من ينظر إليهم يعرض عنهن.

يبدو أن المدرسة قرأت ما يدور في خاطرى، ولكن بها شيئا نسائيا، يكفي أنها قرأت أفكارى عن الفتيات، وقالت لي:

إننا لا نهتم بالملبس أو المنظر، فقط نهتم بتحقيق أكبر قدر من النجاح، وهذا هو الأساس عندنا. لم أكن أرغب في أن أخوض حديثا معها عن قيمة الأشياء وعن الأساسيات والقيم؛ ولذلك رددت عليها: هو كذلك. وفكرت في نفسي بالمقارنة بهؤلاء الحيوانات فإن "ن" إنسان.

قالت المدرسة: نحن من الأمازون. ولكن لا يوجد أهل الأمازون إلا في القصص. ولكنكن حقيقة؛ فأنتن بنات أمنا حواء،

ولكنكن مخططآت للطريق. وتذكرت (يوليوس قيصر) وأنه يكره النساء اللاتى يحملن حقائب على أظهرهن. وأنا أيضا.

قبل أن يبدأن السير قافلين أخبرتنى المدرسة أنه عليهن اليوم قبل الظهر أن يبحثن عن الطيار المفقود. فسألتها هل اختفت واحدة منهن؟ فقالت: إن هذا التعبير (الطيار المفقود) تعنى أنهن يخبئن كرتونة بيضاء كبيرة تحت أكوام كبيرة من الخشب، وعلى البنات أن يزحفن تحت الخشب حتى يجدن هذه الكرتونة، وهذا تدريب على حالة الحرب. – طبعا فى الخطوط الداخلية، وليس فى مقدمة الجيش؛ لأنه ليس مسموحا للنساء أن يكن فى الخطوط الأمامية. للأسف. فعلا للأسف.

ثم سرن فى خطوات عسكرية، وظللت أنظر إليهن وبسبب المشى الكثير كانت تبدو لى السيقان أقصر وأثخن.

سرن، يا أمهات المستقبل.

العشب الضار

السماء صافية والأرض والطقس غير مريحين وعنوانه "أبريل".

كنت أتمشى حول المعسكر فى طريق ممهد. ماذا يمكن أن يكون موجودا خلف التل؟ الطريق متعرج لتفادى بعض الأخشاب. الهواء ليس به نسمة كأنه الهدوء الأبدى، لا شيء يصدر صوتا. معظم الخنافس مازالت نائمة.

يوجد خلف التل منزل ريفى وحيد، ولم أر إنسانا، حتى أننى أظن أن الكلاب قد غادرت المكان. أردت أن أطوف بالمكان ولكنى توقفت عندما لمحت ثلاثة أشباح فى شارع ضيق يمر أمام فناء البيت الريفى. إنهم أطفال: ولدان وبنت، يريدون الاختباء داخل المنزل. الولدان فى حوالى الثالثة عشرة، والبنت أظن أنها تكبرهم حوالى سنتين. إنهم حفاة. ماذا يفعلون هناك؟ لماذا يريدون الاختباء هناك؟ إننى انتظر لأرى. الآن يقف طفل ويذهب إلى فناء المنزل وفى سرعة كبيرة يختبئ خلف سياج من الشجر. سمعت صوت عربة تقرقع على الطريق، عربة من الخشب تحمل حصانا كبيرا تمر أمام هذا البيت. وعندما اختفت عن الأنظار عاد الطفل إلى فناء البيت،

وأخذ يطرق الباب، ولا بد أنه كان يطرق بشاكوش؛ لأن صوت الطرق كان عاليا.

إنه تصنت والآخرون معه. البنت كانت عصبية وتنظر حولها إلى السياج. إنها كانت طويلة والولد يطرق الباب بصوت أعلى. وفتح الباب وطلت منه فلاحة عجوز تتكئ على عصا، وأخذت تنظر حولها. ولم ينبس الصبى ببنت شفة، ورفعت العجوز صوتها متسائلة: من هناك؟ من يطرق على الباب؟ من هناك؟ ثم تصيح مرة أخرى وتتحسس المكان بعصاها عندما كان الصبى واقفا أمامها، ربما تكون عمياء. هل هى فعلا عمياء؟ الفتاة تشير إلى الباب المفتوح وكأنها تأمر الصبى، ويتسلل الصبى على أطراف أصابعه إلى المنزل.

وقفت العجوز تسترق السمع. نعم إنها عمياء.

لقد حدث صوت كأنه صوت انكسار طبق على الأرض. ارتعدت العجوز خائفة وصاحت طالبة النجدة: أغيثونى! أغيثونى!

فاندفعت الفتاة إليها وأغلقت فمها، وظهر الصبى من الباب يحمل قطعة خبز وزهرية.

أخذت الفتاة العصا من يد العجوز وأسرعت فارة.

العجوز تترنح وتسقط على الأرض، والأولاد يختفون. حرصت على الاهتمام بالعجوز وجاء فلاح كان قد سمع صوت استغاثتها، وجاء يساعدنى.

أدخلنا العجوز المنزل، وبدأت أحكى للفلاح ما حدث لحظة بلحظة، ولم يبد عليه أى أثر للعجب. فقد أخرجوا العجوز من البيت حتى يتمكنوا من السرقة.

إنها نفس الطريقة التى يمارسونها؛ ولكننا لا ننتبه. إنهم يسرقون كالغربان.

إنها عصابة.

من الأطفال؟

نعم.

حتى القصر الذى يقطن فيه البنات سرقوه، سرقوا منه نصف الملابس.

يا سيدى انتبه أنت أيضا حتى لا يزوروكم فى معسكركم.

لا تخف، فنحن نحرسه جيدا.

إنى أثق فى أنه يمكنهم القيام بأى شىء، إنهم نبتة ضارة.

الطيار المفقود

عدت إلى المعسكر بعد أن هدأت العجوز وشكرتني. على أي شيء؟ ألم يكن من الطبيعي ألا أتركها ملقاة على الأرض؟ مجتمع ضائع، هؤلاء الصبية. توقفت فجأة؛ فلقد كان عجبا أن لا أشعر بالأسف على هذا الصنيع، وركزت على الخبز والفازة المسروقين، ولم أصدر حكما. لماذا لم أغضب؟ هل لأنهم أطفال فقراء ليس لديهم ما يأكلون؟

لا، الموضوع غير ذلك.

تمكنت من تحديد مكاني ووصلت إلى المعسكر. إنني أسير على طريق الخشب وأجد الأعشاب الضارة هنا كثيرة جدا.

فكرت طويلا في الفتاة التي راقبت الطريق ونظرت إلى السياج حول المنزل.

هل هي زعيمة العصابة؟

أريد أن أنظر في عينيها. لا. فلست قديسا. ما هذا الشيء الموجود هناك؟

إنها كرتونة بيضاء مكتوب عليها باللون الأحمر "طائرة". فهمت. فهذه هي الطائرة التي ضاعت منهن ولمّا يجدنها.

إذا فلقد سقطت هنا. هل كانت طائرة محاربة أم مدافعة؟

هل كنت تحملين قاذفة قنابل؟

إلا أنك هنا محطمة، محروقة، كرتون في كرتون.

هل عشت أيها الطيار؟

هل جرحت جراحا بالغة ولم يعثروا عليك؟

هل أنت عدو أم أنت منا؟

لماذا تموت أيها الطيار المقاتل؟

كرتون فى كرتون.

سمعت صوتا الآن، لا يمكن لأحد أن يخطئه؛ فهو صوت امرأة حزين ودافئ، كان الصوت قادما من الأدغال.

نحيت الأغصان بحذر ونظرت. هناك كانت تجلس فتاتان من اللاتى يقمن فى القصر ذوات الأرجل القصيرة المليئة. واحدة تمسك مشطا والأخرى تبكى وتقول مالى أنا والطيار المختفى؟ لماذا يجب علينا أن نبحث فى الغابة؟

انظرى إلى قدمىَّ فقد تورمتا. لا أريد أن أكمل المشى فى خطوات عسكرية. من ناحيتى فليذهب الطيار إلى أى مكان. أريد أن أعيش. أريد أن أعود، ولا أرغب فى النوم فى هذا القصر.

إنه يصلح أن يكون إصلاحية.

أريد أن أستحم وأن أمشط شعرى وأن أغسل أسنانى.

قالت لها صديقتها وهى تمشط لها شعرها الذهبى: اهدئى، ومسحت لها دموعها. ما الذى يمكننا نحن الفتيات الضعيفات أن نفعله؛ فحتى المدرسة تبكى فى الخفاء.

والدتى أخبرتنى أنَّ الرجال أصبحوا مجانين، وهم الذين يسنون القوانين.

تنهدتُ وقلت: الرجال؟

قبلت صديقتها على جبينها وشعرت بالحرج؛ فكم من سخرية عايشتها اليوم!

من الممكن أن تكون على حق.

الرجال أصبحوا مجانين، ومن لم يصبه الجنون منهم تنقصه الشجاعة. فهم يفعلون أشياء غير طبيعية وهم مكرهون.

فعلا هى على حق. حتى أنا ! أنا جبان.

عد إلى بلدك

عدت إلى المعسكر، ووجدت البطاطس قد قشرت، والحساء تغلي. كل شيء في محله والأولاد في نشاط.

فقط الشاويش هو الذي يشكو من صداع؛ لأنه أجهد نفسه ولكنه لم يعترف بذلك.

سألني فجأة: ماذا تعتقد كم أبلغ من العمر، أيها المدرس؟

هل خمسا وخمسين؟ أم ثلاثًا وستين؟

قالها وابتسم. وأكمل: لقد حضرت الحرب وكنت في قوات الدفاع المدني أثناء الحرب العالمية.

خشيت أن يبدأ في سرد ذكرياته في الحرب، ولكن ظني كان في غير محله.

ثم قال: من الأفضل أن نخوض في موضوع آخر غير الحرب، أنا عندي ثلاثة أبناء كبار. ونظر متمعنا إلى الجبال وتناول الأسبرين.

أخذت أحكي له عن عصابة الأفراد الثلاثة، فوقف على الفور ونادى على الأولاد، وأخذ يحدث السرية: في الليل سيكون هناك حراسة.

كل 4 أولاد يقومون بالحراسة عدة ساعات وذلك فى الشمال والجنوب والشرق والغرب؛ فيجب أن يكون المعسكر آمنا. وسندافع عن معسكرنا بدمائنا حتى آخر رجل.

الأولاد يصيحون وهم معجبون بأنفسهم مهللين.

قال الشاويش: عجبا إننى لا أشعر بأى صداع الآن.

قلت: بعد الغداء سأنزل إلى القرية؛ لأننى أريد أن أرتب بعض الأمور مع العمدة، منها ما يمس الإجراءات ومنها ما يتعلق بالطعام؛ فبدون الطعام لا يستطيع الإنسان أن يعيش.

عند العمدة قابلت القسيس، ولن أترك هذه الفرصة تضيع منى دون أن أذوق النبيذ الممتاز الذى عند القسيس، إننى أحب الشراب، والقس رجل مريح.

كنا نسير فى القرية والناس تحيى القس.

ذهبنا من طريق قصير إلى منزله، ثم أخذنا شارعا جانبيا، لم نقابل فيه أحدا من الفلاحين.

قال القسيس بغضب هنا يسكن الذين يعملون سرا.

هنا تتلاصق البيوت الرمادية. فى الشبابيك المفتوحة يجلس أطفال بيض الوجوه، يلونون عرائس بالألوان. والظلام خلفهم. يقول

القس إنهم يوفرون الكهرباء، لا يحيوني. إنهم من المطاريد. وبدأ يسرع في خطواته، وأنا بالطبع معه.

ينظر الأطفال إليَّ في عجب ويحملقون فِيَّ، إنهم ليسوا سمكا وليسوا ديوكا. هذا كره.

وخلف الكراهية يختبئ الحزن في الحجرات المظلمة. إنهم يوفرون الكهرباء؛ لأن الكهرباء لم تصل إليهم.

بيت القس يقع بجوار الكنيسة، مبنى الكنيسة قوي، وحول الكنيسة تقع المقابر.

أما منزل القسيس فحوله حديقة، وهو منزل هادئ.

تدق أجراس الكنيسة، ومن مدخنة بيت القس يخرج دخان أزرق.

تنموا ورود بيضاء في حديقة الكنيسة، وتنموا الخضراوات في حديقة بيت القس.

هناك صلبان وفي حديقة القس غزال محنط ونبات المشروم. لا يوجد تراب في بيت القس؛ فهو نظيف تماما. أما في المقابر فكل شيء مغطى بالتراب. أدخلني القس إلى أفضل غرف منزله، وطلب مني الجلوس، وقال: إنه سيحضر الخمر. سيحضرها من الكرار وسأبقى وحدي حتى يعود.

لم أجلس وأخذت أجول فى الحجرة. هناك صورة معلقة على الحائط. أنا أعرف هذه الصورة؛ إنها موجودة عند والدىّ، فهما متدينان.

تخليت عن الله فى وقت الحرب؛ فلم يكن سهلا على تلميذ صغير أن يفهم أن الله يسمح بوجود حرب عالمية.

إنى أتمعن فى الصورة. الإله الذى مات على الصليب.

الإله مات ومريم تبكى، ويوحنا يواسيها.ضوء يظهر فى السماء السوداء. على يمين الصورة صورة لمحارب فى ملابس الحرب ودبابة. إنه محارب رومانى. بعد أن تفحصت الصورة أردت أن أعود إلى بيت والدىّ. أتمنى لو عدت صغيرا مرة أخرى، وأنظر من الشباك إذا ما هبت الريح وعندما تتكاثف السحب وعندما ترعد وتبرق، ويسقط المطر والبرد. عندما يظلم النهار.

وتذكرت حبى الأول. لا أريد أن أراها مرة أخرى.

عد إلى وطنك!

وتذكرت الدكة التى كنت أجلس عليها فى المدرسة وسألت نفسى: ماذا تريد أن تكون؟ مدرسا أم طبيبا؟

أفضل علىّ أن أساعد المرضى أن أعطى للأصحاء شيئا؛ وبهذا أضع حجرا فى بناء المستقبل.

السحب تتجمع و الثلج ينزل.

عد إلى وطنك! وطنك هو المكان الذى ولدت فيه.

عن أى شىء تبحث فى هذا العالم؟

لم أعد سعيدا بمهنتى.

عد إلى وطنك!

البحث عن المثل الأعلى بين الناس

طعم خمر القس كطعم الشمس. أما التورته ففيها رائحة البخور. جلسنا فى ركن. أرانى منزله.

الطباخة الخاصة به سمينة. بالتأكيد هى تجيد الطبخ.

وقال القس فجأة: أنا لا آكل كثيرا. وكأنه قرأ ما يدور فى خاطرى. وأكمل: ولكنى أشرب أكثر، وضحك. فالخمر ذات طعم جيد، وهناك خمر ليست جيدة.

أنا أتحدث ثم أتوقف. وأبدأ من جديد. لا أدرى لماذا؟

أنا أعرف ما يشغلك، أيها المدرس. أنت تفكر فى الأولاد الذين يجلسون فى الشبابيك ويلونون العرائس ولا يحيوننى. نعم ففيهم أفكر أنا أيضا. ربما يدهشك أيها المدرس أننى قرأت أفكارك، ولكن هذا ليس بالأمر العسير؛ فأغلب من رأيت هنا أيها المدرس هم الأطفال. نحن نتناقش حول نقطة نلتقى عندها. تستطيع أن تناقشنى فى كل شيء؛ فأنا لست من نوعية القساوسة الذين لا يجيدون الاستماع، أو تغضبهم المناقشة. وأنا مقتنع بمقولة القديس "إجنتيس" التى تقول: "أنا أدخل مع كل إنسان فى بابه؛ لأصل به إلى الدخول فى بابى".

ابتسمت ابتسامة خفيفة ولم أقل شيئا وسكت.

شرب كأسه.

نظرت إليه بتمحيص! إننى لا أعرف نفسى جيدا.

قال: سبب المشكلة ليس أنى أشرب كثيرا؛ ولكن السبب هو توقف مصنع نشر الخشب. يرى المدرس أنه بسبب الإنتاج التكنولوجى المتلاحق نحتاج إلى علاقة إنتاجية أخرى، ونظام رقابى جديد من الملاك.

عنده حق فى هذا. لماذا تنظر إلى هكذا؟

هل تسمح لى أن أتكلم بوضوح؟

نعم.

أنا أعتقد أن الكنيسة تقف دائما فى صف الأغنياء.

هذا صحيح، لأن هذا مفروض عليها.

مفروض عليها؟

هل تعرف دولة لا يحكم فيها الأغنياء.

الغنى ليس معناه فقط امتلاك المال. وحتى إذا لم يكن هناك مساهمون في مصنع الأخشاب؛ فسيوجد أغنياء آخرون يحكمون؛ فليس بالضرورة أن يكون المرء مساهما فى شركة، حتى يكون غنيا.

هناك أشياء قيمة يمتلكها بعض الناس وتربو قيمتها على كل الأشياء الأخرى. نجوم أكثر على الكتفين، شرائط أكثر على الذراع، نياشين أكثر على الصدر، مرئية وغير مرئية. دائما سيوجد الغنى والفقير، تماما كما الغباء والذكاء. والكنيسة – أيها المدرس – ليس لها السلطة للأسف لتحديد كيف تسير أمور الدولة.

وواجب الدولة دائما أن تقف فى صف الحكومة، والتى يحكمها فقط وللأسف الأغنياء.

واجبها؟

لأن الإنسان مخلوق اجتماعى فهو يحتاج إلى مجتمع؛ فهو ينتمى إلى الأسرة، إلى الجماعة، وإلى الدولة.

والحكومة مؤسسة اخترعها الناس؛ للوصول للسعادة على الأرض.

إنها ضرورة طبيعية، وهى إرادة إلهية يجب الانقياد لها.

لا يمكنك أن تدعى أن الدولة اليوم تسعى لإسعاد الناس، أو حتى تحاول ذلك.

هذا لا أدعيه على الإطلاق؛ لأن المجتمع الإنسانيّ مبنى اليوم على الأنانية والنفاق، والقوة والسلطة.

كما قال العالم "باسكال"

ماذا قال باسكال؟

قال: "نحن نبغى العلم ولا نجد سوى الجهل. ونبحث عن الحظ ولا نجد إلا الحرمان والموت." وأنت تعجب من أن قسا من الفلاحين يستشهد بأقوال باسكال.

لا تعجب؛ فأنا لست قسا من الفلاحين؛ فأنا هنا فقط لبعض الوقت. ومن الممكن أن تقول أنى أتيت إلى هنا عقابا.

وضحك. نادرا من يصبح قديسا من لم يكن قديسا. ونادرا من يكون ذكيا من لم يكن غبيا. وبدون الحماقات الموجودة فى عالمنا، فلم نكن لنوجد.

ضحك بصوت هادئ. ولكنى لم أضحك.

وأفرغ كأسا أخرى.

سألته فجأة: متى يصبح نظام الدولة كما يريدها الله؟

قاطعنى قائلا: خطأ، ليس نظام الدولة ما يريده الله، ولكن الدولة ضرورة طبيعية وهى ما يريده الله.

هذا هو ذاك.

لا، ليس المقصود بهما واحد. الله خلق الطبيعة. وكل ما هو طبيعى فهو إرادة إلهية. ولكن نتائج خلق الطبيعة هذا يعنى أن نظام

الدولة فى حالتنا هذه نتاج للإرادة الحرة للإنسان. هذا يعنى أن الدولة فقط هى إرادة إلهية وليس نظام الدولة.

وعندما تنهار الدولة؟

لن تنهار الدولة. إنما أقصى ما يمكن أن ينحل فيها هو بناؤها الاجتماعى؛ ليحل محله نظام جديد. وتظل الدولة حتى وإن مات الشعب الذى ينتمى إليها؛ لأنه سيأتى شعب آخر.

على هذا فليس انهيار نظام الدولة ضرورة طبيعية؟

ابتسم وأردف: فى بعض الأحيان يكون سقوط نظام ما إرادة إلهية.

إذا لماذا تقف الكنيسة دائما إذا ما سقط نظام دولة مع حزب الأغنياء.

فمثلا فى وقتنا الراهن تقف الكنيسة فى صف المساهمين فى مصنع الخشب ولا تقف مع الأطفال الذين يقيمون فى الظلام.

لأن الغلبة دائما للأغنياء.

لم أستطع أن أتمالك نفسى وقلت إنها لنعم الأخلاق!

ظل هادئا وقال تفكير سليم. هذا معيار الأخلاق.

أفرغ كأسا أخرى فى جوفه وقال: إن الأغنياء ينتصرون دائما؛ لأنهم أعنف و معدومو الضمير. وموجود فى الكتاب المقدس أنه لن يدخل غنى الجنة إلا إذا دخل الجمل فى سم الخياط.

وهل ستدخل الكنيسة فى سم الخياط؟

لا. قالها وهو يضحك؛ فهذا غير مضمون تماما؛ لأن الكنيسة هى سم الخياط.

أظن أن بهذا القس مس. إنه لم يصب. وليس على صواب.

قلت: إن الكنيسة تخدم الأغنياء ولا تفكر فى أن تكافح من أجل الفقراء.

أردف قائلا: إنها تحارب من أجل الفقراء ولكن على جبهة أخرى.

من جهة الجنة. أليس كذلك؟

حتى هناك يمكن أن يسقط الإنسان.

من؟

المسيح.

ولكنه الرب! ماذا يحدث له؟ ثم صب لى كأسا وأخذ يمعن فى التفكير، ثم قال بصوت خفيض، إن الأمور لا تسير فى الكنسية فى كثير من البلاد بشكل جيد. وهذا جيد بالنسبة للكنيسة.

قلت: من الممكن. ولاحظت أننى منفعل.

وأردفت: دعنا نعود للأطفال الذين يجلسون فى الشبابيك. لقد ذكرت أنهم لا يحيوك؛ لأنهم مثارون ضدك.

أنت إنسان ذكى. ويجب أن تفهم أنه لم يثر أحد هؤلاء الأطفال. ولكنهم لا يجدون شيئا يأكلونه.

نظر إلىَّ محملقا وقال: إننى أعنى أنهم مثارون؛ لأنهم لم يعودوا يؤمنون بالله.

كيف تطلب منهم هذا. الله موجود فى كل مكان، موجود فى الزقاق ويرى الأطفال ولا يساعدهم؟

سكت. وصب كأسا وشربها ثم نظر إلىَّ محملقا وقال: إن الرب أبشع ما فى العالم.

نظرت إليه مستغربا. وتساءلت: ألم تخنى أذنى؟ أبشع شىء؟

وقف القس وذهب إلى الشباك ونظر إلى المقابر، وسمعت صوته وهو يقول: إنه يعاقب.

وفكرت فى نفسى قائلا: ما هذا الرب الرحيم الذى يعاقب الأطفال؟ والآن يتحرك القس إيابا وذهابا.

وقال: لا يجب علينا أن ننسى الله حتى عندما لا ندرك لماذا يعاقبنا. حتى إذا لم تكن لدينا إرادة.

قلت له: هل تعنى "الخطيئة الموروثة"؟

نعم.

أنا لا أؤمن بهذا.

وقف أمامى وقال: إذا فأنت لا تؤمن بالله.

هذا صحيح. أنا لا أؤمن بالله. وقلت كاسرا حاجز الصمت: اسمعنى؛ فيجب أن أقول أنى أُدرِّس التاريخ وأعرف تماما أنه كان هناك عالم قبل ميلاد المسيح. عالم ما قبل الميلاد. كان عالما بدون "خطيئة موروثة".

تدخل قائلا: أنتم مخطئون، وذهب إلى رف الكتب وقلب صفحات كتاب وقال: وبما أنك تُدرِّس التاريخ فليس علىَّ أن أذكرك بأول فيلسوف رومانى.

قلت: أقدمهم. "تاليس فون ميلت"

نعم. ولكن نصف ما وصلنا عنه أساطير، ولا نعرف شيئا أكيدا عنه. وأقدم الوثائق عن الفلسفة اليونانية التى نعرفها وصلتنا

عن طريق (أنا كسيماندر) الذى ولد فى مدينة (ميلت) عام 610 ق.م. ومات عام 547 ق.م. كانت عبارة عن جملة واحدة.

ذهب ناحية النافذة، حيث كان المساء يحل وقرأ: من أى شيء نشأت الأشياء. يجب عليك أن تؤمن بالقدر؛ فكل واحد عليه أن يُكفِّرَ ويعاقب على كل الخطايا فى هذا العالم.

هذا هو النظام.

القائد الرومانى

مرت علينا أربعة أيام فى المعسكر، وأمس شرح الشاويش للأولاد آلية عمل السلاح وكيفية تنظيفه. واليوم سينظفون السلاح طيلة اليوم، وغدا يتدربون على النيشان. لقد أقيمت العساكر الخشبية هدفا للنيشان.

الأولاد سعداء بهذا والشاويش أقل سعادة. كان يبدو وكأنه قد كبر عشر سنوات فى هذه الأيام الأربعة. وفى الأيام الأربعة المقبلة سيبدو أنه أكبر. كما أنه قد أرهق نفسه وأصيب بتصلب فى الأربطة، ولهذا فهو يعرج. ويكتم ألمه.

حكى لى أمس قبل النوم أنه يود أن يلعب لعبة (البولنج) والورق وأن ينام فى سرير مريح ويجلس على مقهى تخدمه فيها جرسونة وأن يعود إلى البيت. ونام باستغراق وبدأ فى الشخير. ورأى فى المنام أنه جنرال ويكسب المعركة، وأن القيصر أخرج كل ما عنده من نياشين وقام بنفسه بوضعها على صدره وعلى ظهره. وقبلت زوجة القيصر قدمه.

وفى الصباح سألنى عن تفسير هذا الحلم.

من المحتمل أن تكون هذه رغبة دفينة لديك. فأردف أنه لم يخطر له على بال أن تقبل زوجة القيصر له قدمه. وأنه يجب عليه

أن يكتب هذه الرؤيا ويرسلها لزوجه فعندها كتاب لتفسير الأحلام. ويجب عليها أن تجد معنى كلمات (القيصر، والنياشين، والمعركة، والصدر، والظهر). عندما أخذ فى الكتابة أمام الخيمة، ظهر أحد التلاميذ وكان يبدو عليه الارتباك، إنه التلميذ "ل"، فسألناه: ماذا وراءك؟ فأجاب: لقد سرقت.

سرقت؟

أيها المدرس، لقد سرق أحدهم آلة التصوير الخاصة بى.

كان مرتبكا جدا.

نظر إلىَّ الشاويش وكأنه يسألنى ماذا يجب علينا أن نفعله؟

قلت له: نجمع الأولاد. ولم يخطر ببالى فكرة أفضل من هذه. هز الشاويش رأسه بسرور. أسرع إلى الميدان الخالى عند السارية ونادى كأنه غزال عجوز: سرية، اجمع!

توجهت إلى التلميذ "ل" قائلا: هل تشك فى أحد؟ أجاب: لا.

جمعت السرية واستجوبتهم جميعا. ولم يقل أحد منهم شيئا، فذهبت أنا والشاويش إلى الخيمة التى ينام فيها "ل".

مرتبة النوم الخاصة به كانت على باب الخيمة إلى اليسار، ولم نجد شيئا.

قلت للشاويش: أنا أستبعد أن يكون أحد هؤلاء هو السارق؛ وإلا لكانت قد حدثت سرقة أثناء العام الدراسى. بل أظن أكثر أن نوبات الحراسة لم تقم بعملها جيدا، فجاءت العصابة وفعلت فعلتها. وافقنى الشاويش على رأيى واتفقنا على أن نراقب نوبات الحراسة. ولكن كيف؟ على بعد 100 متر من المعسكر يوجد كهف. سنبيت فيه ومنه نراقب نوبات الحراسة. نوبة الشاويش من التاسعة حتى الواحدة ونوبتى من الواحدة حتى السادسة.

خرجنا سرا بعد العَشاء ولم يلحظ الأولاد ذلك. رتبت القش لأستريح عليه. وفى الواحدة أيقظنى الشاويش وقال إن كل شىء على ما يرام حتى الآن. خرجت من سريرى المصنوع من القش وأخذت ظل الكهف. نعم ظل الكهف فقد كانت الليلة مقمرة.

ليلة جميلة.

نظرت ناحية المعسكر وعرفت من بالحراسة. الآن يأتى من يحل محلهم.

إنهم يتحركون فى كل الاتجاهات: ناحية الشرق والغرب والشمال والجنوب. وفى كل اتجاه يحرس واحد. إنهم يحرسون آلات التصوير الخاصة بهم. وبينا كنت جالسا هكذا تذكرت الصورة المعلقة فى بيت القس وعند والدىَّ.

الساعات تمر.

أنا أقوم بتدريس التاريخ والجغرافيا.

يجب أن أشرح شكل الكرة الأرضية وتاريخها.

الأرض مستديرة ولكن التاريخ أصبح مربعا.

أنا أجلس هنا الآن ولا أستطيع أن أدخن؛ لأنى أراقب الحراس. نعم، وظيفتى لم تعد تسعدنى.

لماذا أتذكر هذه الصورة دائما؟

هل من أجل المصلوب؟ لا.

هل من أجل أمه؟ لا. وفجأة وضح الأمر لى: نعم إنه بسبب المحارب ذى الخوذة والدبابة. بسبب القائد الرومانى.

ماذا به؟

إنه يقتل يهوديا. وعندما مات اليهودى قال: بهذا لم يمت إنسان.

إنه يعرف الرب.

ولكن ماذا فعل؟ ما كانت النتيجة.

إنه يقف مستريحا فى ظل الصليب.

جاء البرق ليهز سكون الليل، ويمزق ستائر المعبد وتهتز الأرض. – وظل واقفا.

إنه يعرف الرب الجديد، بعد أن صلب على الصليب وعلم أن عالمه محكوم عليه بالموت.

ثم؟

هل مات فى حرب؟ هل علم أنه مات من أجل لاشيء؟

هل تسعده وظيفته؟

أم هل أصبح عجوزا بعض الشيء؟ هل سيحال إلى المعاش؟ هل كان يعيش فى روما أم على أطراف البلاد، حيث الأشياء أرخص؟

من الممكن أن له هناك (شاليها) بحديقة صغيرة. وفى الصباح تخبره الخادمة، أنه على الناحية الأخرى من الحدود جيش البرابرة. رأتهم (لوسيا ابنة السيد ميجور) بعينيها.

برابرة جدد، يعنى شعوب جديدة.

إنهم يتسلحون ويتسلحون وينتظرون.

والقائد الرومانى يعرف أن البرابرة سيهجمون. بالنسبة له فإن كل شيء معد.

ويظل صامتا لا يتحرك؛ كأنه محال للتقاعد.

إنها الإمبراطورية الرومانية.

القاذورات

القمر الآن فوق الخيام. إنها حوالىّ الساعة الثانية. وأظن أن المقهى ملىء الآن. ماذا يفعل (يوليوس قيصر) الآن؟

إنه يلعب بالرأس الميتة حتى يأخذه الشيطان.

يا للعجب! فأنا أفكر فى الشيطان ولا أفكر فى الرب الذى يجب أن يُحَبَّ. حقيقة لا؟

لا أدرى. حقا، لا أدرى. أنا لا أريد الإيمان به. لا، لا أريد هذا.

إنها الحرية الوحيدة الباقية لى أن أؤمن بالرب، ولكن على المستوى الرسمى، يجب أن أظهر بأننى أؤمن. علىَّ أن أبدو كما لو كنت هكذا.

مرة هكذا ومرة هكذا. حسب الأحوال.

ماذا يقول القس؟

وظيفة القس تنحصر فى أن يعد الناس لما بعد الموت؛ لأنه إن لم يخف الناس من الموت فستكون الحياة أسهل.

إن القس لا يمل من تكرار أن رحمة الله والإيمان بالوحى هما فقط اللذان ينقذانا من هذه الحياة المليئة بالبؤس والتناقض.

مجرد كلام.

نحن نعاقب ولا نعلم لأى سبب نعاقب.

اسأل الحكام!

وماذا يقول القس أيضا؟

يقول: إن الله هو أبشع شىء فى العالم.

صحيح!

جميلة هى الأفكار التى تخترق قلبى.

تأتى من رأسى وتلتف الإحساس وتتراقص ولا تتلامس.

حفل راقص. دائرة محكمة الإغلاق. المجتمع!

تدور الثنائيات فى ضوء القمر: الجبن والفضيلة، الكذب والحق، الرحمة والقوة، والمكر مع الشجاعة.

فقط العقل لا يرقص معهم.

العقل كان سكرانا وكان فى جولة مع الأخلاق. أنا غبى، أنا غبى!

يرقص المرء بعيدا عن كل هذا. أنصت إلى حفل الموسيقى. هناك يعزفون موسيقى الحوارى، بعنوان: كل واحد فى القمامة.

يفرز الجميع حسب اللغة، والجنس، والقومية، ويقف الجميع فى مجموعة واحدة، ويحاول كل واحد أن يكون هو الأكبر.

الرائحة كريهة لدرجة أن كل واحد يمسك أنفه. قمامة كثيرة.

كل شىء قمامة. سمد بها الأرض؛ حتى تطرح الأرض شيئا.

لا نريد زهورا، بل نريد خبزا. ولكن لا تقدموه لأنفسكم! هذه ليست القمامة التى أكلتموها!

الطالب "ز" والطالب "ن"

كدت أن أنسى واجبى الذى أقوم به وهو مراقبة الحراسة وعدم السماح لى بالتدخين أمام كوخ القش.

نظرت إليهم، هم مستيقظون.

شرق، غرب، شمال، جنوب.

كله تمام.

ولكن. توقف! هناك يحدث شيء ما. ماذا؟ فى الشمال هناك يتحدث المنوط إليه بالحراسة مع أحد ما. ربما يكون مجرد خيال. لا، ليس خيالا. إنه الطالب "ز". مع من يتحدث؟

أم هذا ظل شجر الصنوبر؟

لا، فهذا ليس ظلا. إن هذا شخص.

ضوء القمر يظهره. إنه شاب. شاب غريب.

ما ذا يجرى هناك؟

لقد أعطى الغريب لـــ"ز" شيئا ثم اختفى. لم يتحرك "ز" لبعض الوقت، ثم نظر يمنة ويسرة بحذر ثم أخرج خطابا من جيبه.

لقد وصله خطاب.

فتحه بسرعة وقرأه فى ضوء القمر. ثم أخفاه سريعا فى جيبه.

من الذى يكتب لـــ "ز"؟

وفى الصباح سألنى الشاويش عما إذا ما كان شىء مثير قد حدث. قلت له: لا، لم ألحظ شيئا والحراس قاموا بواجبهم.

لم أتحدث عن الخطاب؛ لأنى لم أعلم بعد هل لهذا الخطاب علاقة بسرقة آلة التصوير، أم لا. يجب أن أتثبت من كل شىء أولا. وطالما أنه ليس هناك دليل، فلن أضع "ز" فى دائرة الشك.

كيف أصل إلى قراءة الخطاب!

ولما وصلنا المعسكر قابلنا الأولاد بتعجب متسائلين متى تركنا المعسكر؟ وكيف؟

كذب الشاويش قائلا: خرجنا فى منتصف الليل بكل حذر ولم يرنا أحد من دورية الحراسة ونحن خارجون. يجب عليكم أن تكونوا أكثر استيقاظا، لأنه وحال الحراسة هكذا فمن الممكن أن تُسرق الأسلحة والأعلام وكل ما نحن هنا لأجله.

ثم جمع السرية وسألهم عما إذا كان أحد قد رأى شيئا غريبا.

لم يتحرك أحد.

راقبت "ز".

وقف دون أن يبدو عليه أى شيء.

ماذا يحتوى الخطاب؟

إنه فى جيبه الآن. سأقرأ الخطاب. يجب علىّ أن أقرأ الخطاب.

هل أسأله بطريقة مباشرة؟ لا، هذا لن يفيد. فربما يمزق الخطاب أو يحرقه، ولن أستطيع بعد ذلك قراءته أبدا. ومن هذا الصبى الغريب الذى ظهر الساعة الثانية صباحا؟ فى مكان يبعد ساعة عن القرية؟ أم يسكن فى القرية عند السيدة الضريرة؟ ولكن من المؤكد أنه ينتمى إلى العصابة. كان هذا هو إحساسى القوى. إنه ينتمى إلى الحشائش الضارة. هل هو نبت ضار؟ هل ينتمى إلى العصابة؟

يجب على أن أقرأ الخطاب. يجب. يجب.

الخطاب أصبح هدفا وفكرة. (بووم بووم)

بدءوا اليوم فى إطلاق النار. (بووم بووم)

بعد الظهر أتى إلىّ التلميذ "ر" وقال لى: سيدى المدرس، أنا أرجو وأطلب منكم أن أنام فى خيمة أخرى غير التى أنا فيها؛ لأن الاثنين اللذين معى فى الخيمة دائما الشجار معا ولا أستطيع أن أنام معهما.

من هما هذان الاثنان؟

إنهما "ن" و"ز".

"ز"؟

نعم. ولكن"ن" هو الذى يبدأ دائما.

أرسل لى الاثنين!

ذهب وجاء"ن".

لماذا تتشاجر دائما مع "ز"؟

لأنه لا يدعنى أنام دائما يوقظنى. إنه يوقد دائما شمعة فى منتصف الليل، ولا يمكننى النوم.

ولماذا يشعل شمعة؟

لأنه يكتب خرافاته.

يكتب؟

نعم.

ماذا يكتب إذا؟ خطابات؟

لا، إنه يكتب مذكراته اليومية.

مذكرات يومية؟

نعم. إنه غبى.

لا، يجب أن يكون معتوها إن كان يسجل مذكراته اليومية.

إن كتابة المذكرات تعبير عن حب الذات والتكبر.

أجبته: هذا من الممكن أن يكون صحيحا. وقلت: أنا لم أسمع فى الراديو أن كتابة المذكرات اليومية من الهراء.

أحضر "ز" معه صندوقا صغيرا يحفظ فيه مذكراته اليومية.

أرسل "ز" إلىَّ!

ذهب "ن" وأتى "ز".

لماذا تتشاجر دائما مع"ز"؟

لأنه سوقى. صدمت ووجدتنى أتذكر الأغنياء الرعاع.

نعم. قالها وأردف: إنه لا يستطيع أن يفهم أن يفكر الإنسان فى نفسه. إنه يتوحش. أنا أخرج كشكول مذكراتى من صندوقى. وقد حاول أن يحرقها؛ ولهذا أخفيها دائما. فى النهار أخفيها فى المرتبة. وفى الليل أحفظها فى يدى.

نظرت إليه وقلت له: وأين تخفيها عندما تكون فى وردية حراسة؟

لم يتغير وجهه وقال: في مخدعي.

وهل تسجل فى مذكراتك كل ما يحدث لك؟

نعم.

هل تسجل فيها كل ما تسمع وكل ما ترى؟

احمر وجهه. وقال بصوت خفيض: نعم.

هل أسأله الآن عن من أعطاه الخطاب أمس وماذا فى الخطاب؟ لا. فقد عنَّ لى أنى سأطلع على هذه المذكرات وسأقرأها.

ذهب وظللت أنظر إليه.

إنه يفكر فى نفسه.

سأقرأ أفكار ومذكرات "ز".

آدم وحواء

بعد الرابعة بقليل سارت السرية بقيادة الشاويش ولم يتخلف أحد، حتى من يعملون بالمطبخ فكان يجب عليهم أن يشتركوا فى الطابور؛ لأن الشاويش أراد أن يشرح لهم جميعا كيفية اختيار المخبأ وحفره والأرض الصالحة. ومنذ أن بدأ يعرج وهو يشرح. لم يتبق إلا أنا فى المعسكر.

وعندما توغلوا فى الغابة دخلت الخيمة التى ينام فيها "ر" و"ن" و"ز".

توجد فى الخيمة ثلاث مراتب للنوم على هيئة أجولة.

على المرتبة التى على اليسار كان خطاب موجودا. لا، لم يكن هو المقصود. هذا مكتوب عليه إلى السيد "أتو ن". المرسلة السيدة "الزبيت ن"، زوجة صاحب المخبز. لم أستطع مقاومة أن أقرأ ما كتبته لابنها. كتبت: حبيبى (أوتتو) أشكرك على الكارت الذى أرسلته. أسعدنى كثيرا وأسعد أباك أن تكون بصحة جيدة. ولكن احرص على أشيائك حتى لا تتبدل الجوارب مرة أخرى. هل ستبدءون فى إطلاق النار بعد يومين؟

والدك يقول لك يجب أن تذكره عندما تطلق أول طلقة؛ فقد كان أفضل من يصوب بين أقرانه. أعلمك أن العصفور (ماندى) قد

مات أمس، على الرغم من أنه كان يتحرك فى قفصه بكل نشاط، ربما يكون قد أصيب بمرض من الأمراض التى تصيب العصافير. ولقد أحرقت جثته.

أمس أكلنا ظهر غزال رائع وتذكرناك. هل تحصل على طعام طيب؟ والدك يرسل لك كثيرا من التحيات ويريدك أن تقص عليه أخبار المدرس، وعما إذا كان لا يزال يتحدث بنفس الطريقة التى كان يتكلم بها عن السود. لا تخف وأبلغ أباك! قبلاتنا وتحياتنا يا ابننا العزيز! أمك.

لم يكن هناك شىء فى المرتبة المجاورة. الصندوق يجب أن يكون مخبأ فى المرتبة الثالثة. إنه هنا.

كان صندوقا من الصاج الأزرق ومغلقا بقفل عادى، وحاولت أن أفتحه، فانفتح بسهولة. فى الصندوق كان هناك خطابات وكروت وكتيب صغير مكتوب عليه بحروف مذهبة (مذكراتى اليومية) وفتحته.عيد ميلاد أمك. تساءلت: من تكون أم "ز"؟ ربما كانت أرملة لموظف. أول ما كتب كان شجرة عيد الميلاد. وأخذت أتصفح حتى وصلت إلى مذكرات عن عيد القيامة. فى أول الأمر كتب مذكرات يومية، ثم بعد ذلك كل يومين ثم كل ثلاثة أيام. ثم كل أربعة أيام ثم كل خمسة أيام ثم كل ستة أيام. وهاهنا. هنا يوجد الخطاب فى مظروف مكور بدون عنوان ولا طوابع.

أسرع؛ فإنى أريد معرفة ما هو مكتوب فيه؟!

"لا أستطيع المجيء اليوم، سآتى غدا فى حوالىّ الساعة الثانية. إيفا"

هذا كل ما احتواه الخطاب.

من هى إيفا؟ أنا أعرف فقط من هو آدم.

آدم هو "ز".

وأنا أقرأ المذكرات اليومية:

يوم الأربعاء.

وصلنا أمس إلى المعسكر. نحن جميعا سعداء. نحن الآن فى المساء، ولم أتمكن أمس من الكتابة؛ لأننا تعبنا بعد أن نصبنا الخيام، وكان معنا راية. حارس المخيم رجل عجوز أبله، ولم يكن يلحظنا ونحن نضحك عليه. كنا نمشى أسرع منه، ومن حسن الحظ أننا لم نر مدرسنا. وهو على كل كان هو الآخر لا يهتم بنا وكان يتجول دائما بوجهه الممل. و"ن" هو الآخر شخص غبى. وهو يصرخ الآن للمرة الثانية قائلا أنه يجب على أن أطفئ الشمعة، ولكنى لا أفعل هذا؛ لأنى إن فعلت فلن أتمكن من كتابة مذكراتى التى أسجل فيها ذكريات حياتى. بعد ظهر اليوم قمنا بعمل طابور سير حتى الجبال وفى طريقنا إلى هناك مررنا بصخور بها تجاويف كثيرة. وفجأة

أمرنا الشاويش قائلاً: يجب أن نتوجه مارين بالأدغال إلى عدونا الذى تمركز على سلسلة جبلية بمدفعيته الثقيلة. ونحن انتشرنا وبعدنا عن بعضنا البعض. توغلت فى الأدغال وفجأة لم أجد أحدا عن يمينى ولا عن يسارى. لقد تهت وأصبحت بعيدا عن الباقين. فجأة توقفت أمام صخرة لها تجاويف وظننت أننى قد مشيت فى دائرة. وظهرت أمامى فجأة فتاة، شقراء تتدثر بلوزة روزية اللون، وتعجبت من أين أتت، وكيف أمكنها الوصول إلى هذا المكان. وسألتنى من أكون وأجبتها. كان هناك صبيان آخران، كلاهما حافى القدمين ويرتدى ملابس ممزقة. أحدهم كان يمسك قطعة خبز فى يد وفى اليد الأخرى (فازة). نظر إلى بعدوانية. أمرتهما الفتاة قائلة إنه من الأفضل أن يعودا إلى البيت. وأرادت فقط أن ترينى الطريق إلى خارج الأدغال.سعدت بهذا واصطحبتنى. سألتها أين تسكنين؟ فأجابت: خلف الصخور. ولكن الخريطة العسكرية التى معى لا تشير إلى بيوت أو أى شيء فى هذه الناحية. وقالت: إن الخريطة ليست دقيقة. وصلنا إلى حافة الأدغال وأمكننى أن أرى المعسكر من بعيد. ظلت واقفة فى مكانها وقالت لى إنها ستقبلنى إن لم أخبر أحدا فى العالم أننى قابلتها فى هذا المكان. سألتها: ولماذا؟ كانت إجابتها؛ لأنها لم تكن تريد هذا. قلت لها: لك هذا. وقبلتنى على خدى. قلت لها: هذه لا تعتبر قبلة، القبلة لا تكون قبلة إلا إذا كانت فى الفم. وقبلت شفتاى وأدخلت لسانها فى فمى. قلت لها، إنها خنزيره. ماذا تفعل بلسانها داخل فمى؟ وهنا ضحكت

وقبلتنى مرة أخرى ودفعتها بعيدا عنى فتناولت حجرا ورمته علىّ،
قلت لها: لو كان الحجر أصابنى فى رأسى لكنت مت. قالت: هذا لا
يهمنى. فرددت إذا حدث هذا. قالت: إن الأمر سيان بالنسبة لها.
وفجأة أحسست بالرهبة وأمرتنى أن أقترب تماما منها، ولم أرد أن
أكون جبانا، فاقتربت منها ومسكتنى وحشرت لسانها فى فمى فثرت
وأمسكت فرع شجرة وضربتها به على ظهرها وكتفيها وليس على
دماغها وبعدها لم تصدر صوتا وخرت على الأرض. كانت ممدة
هناك ففزعت؛ إذ أنى ظننت أنها ماتت، فاقتربت منها ونغزتها بفرع
الشجرة ولم تتحرك. وقلت فى نفسى: إن كانت ماتت فسأتركها هاهنا
وأتصرف كأن شيئا لم يحدث ولما هممت بالانصراف لاحظت أنها
تتأوه وفتحت عينها ناظرة إلى وأسرعت إليها. نعم لم تكن قد ماتت
فقد رأيت من قبل أمواتا كثيرين وكان منظرهم مختلف عنها كثيرا.
فعندما كنت فى السابعة من عمرى رأيت شرطيا وأربعة عمال
ميتين. كان هذا فى مظاهرة وفكرت أن أنتظر وقلت لها: إنك تريدين
أن تزعجينى ولكنك تنتفضين ومسكت (جونلتها) بحذر ورفعتها إلى
أعلى ولم تكن ترتدى سروالا ولكنها لم تتحرك وكنت مضطرب
المشاعر. وقامت فجأة وأخذتنى إليها بكل قوة. إننى أعرف أننا أحببنا
بعضنا. بجوارنا كان هناك مستعمرة نمل. ووعدتها أنى لن أخبر
أحدا عن مقابلتى لها فى هذا المكان وانصرفت ونسيت تماما أن
أسألها عن اسمها.

يوم الخميس

قمنا بنوبة حراسة بسبب اللصوص و"ن" صرخ مرة أخرى قائلا إنى لابد وأن أطفئ الشمعة. وإذا ما صرخ مرة أخرى فسأصفعه. أعطيته صفعة ولم يردها على. و"ر" الغبى ظل يصرخ كما لو كان هو الذى تلقى الصفعة، إنه جبان. إن ما يغضبنى فقط هو أنى لم أفعل شيئا مع الفتاة وددت كثيرا أن أقابلها مرة أخرى وأن أتحادث معها. شعرت صباح اليوم أنها قريبة منى. كنت أفكر فيها عندما كان يصرخ الشاويش يصرخ فينا آمرا: فوق! تحت! كل مالا أحبه هو لسانها. وقالت إنه عادة كعادة الإسراع بالسيارة عندما تقودها. كم هو جميل الشعور بالحب. أنا أعتقد أنه نفس الشعور الذى يحسه الإنسان عندما يحلق فى الفضاء، ولكن التحليق سيكون أجمل. لا أدرى كل ما أتمناه أن تكون بجوارى الآن. عندما لا تكون بجوارى أحس بالوحدة. وأنا أعتقد أنها ستدس لسانها فى فمى.

يوم الجمعة

سنطلق النيران بعد غد ، أخيرا! تعاركت بعد ظهر اليوم مع "ن" وصرعته، ولقد نال "ر" نصيبه أيضا. ما الذى جعل هذا الأبله يقف فى طريقى. على كل لم يعد يهمنى أى شىء من هذا. إننى أفكر فيها فقط، وأفكر فيها أكثر اليوم. أتت مساء اليوم على غير انتظار لما كنت فى نوبة الحراسة ارتعدت أولا ثم شعرت بسعادة بالغة

وخجلت من نفسى بسبب ارتعادى، ولكنها – والحمد لله – لم تلحظ. كانت متعطرة بعطر جذاب وسألتها من أين حصلت على هذا العطر؟ فقالت: من محل فى القرية. فقلت: إن مثل هذا النوع من العطر لا بد وأن يكون غالى الثمن. قالت: لا، لم يكلفنى شيئا، وعندها ضمتنى إليها وكنا متلاصقين. وسألتنى: ماذا نفعل الآن؟ قلت لها: نحن نحب بعضنا، وسألتنى إذا ما كنا سنظل حبيبين، وأجبتها: نعم. وإلى الأبد. سألتنى، عما إذا كانت فتاة سيئة؟ أجبتها: لا. وكيف أمكنها أن تقول هذا، وخاصة أنها كانت معى. وقلت لها: لا توجد فتاة قديسة. وفجأة نزل دمعها على خدها وكان ضوء القمر ينعكس على وجهها، وسألتها: لماذا تبكين؟ وسألتنى: هل ستظل تحبنى حتى إن كنت سيئة الروح؟ تساءلت: لم كل هذا؟ أخبرتنى أنها لم تعرف لها أبوين وعملت خادمة منذ أن كان عمرها اثنتى عشرة سنة وغالبا ما كان السيد يتبعها إلى غرفتها وكانت تقاومه وتدفعه عن نفسها. ومرة سرقت مالا كى تستطيع الهرب؛ لأن السيدة صفعتها مرة بسبب تصرفات السيد معها. وأُدْخِلَتْ إلى إصلاحية الأحداث، ولكنها هربت منها وتسكن حاليا فى كهف، وتسرق كل ما يقابلها، وكان معها أربعة شبان من القرية لم يريدوا الاستمرار فى تلوين لعب الأطفال، وكانت هى أكبرهم، وقائدتهم. ولكنى لا أستطيع أن أخبر أحدا عنها و إلا أعيدت ثانية إلى الإصلاحية. وتألمت جيدا لحالها، وشعرت فجأة بأن روحا جديدة تبعث فِىَّ، وأخبرتها بهذا وقالت لى إِنَّها أيضا تشعر بأن

روحا جديدة تبعث داخلها وإنه عَلَيَّ ألا أسيء فهمها، إذا ما كانت معي وسرق شيء من المعسكر. وقلت لها إني لن أسيء فهمها، إلا أنها ينبغي ألا تسرق مني شيئا؛ لأننا أصبحنا متآلفين. حان الآن أن نفترق؛ لأن نوبة حراستي قد انتهت سيحل شخص آخر محلي. وسنتقابل غدا مرة أخرى. الآن أعرف اسمها. اسمها (إيفا).

السبت

سيطر اليوم غضب؛ لأن آلة التصوير الخاصة بـ "ج" قد سرقت. هذا لا يضيره، فوالده عنده ثلاثة مصانع و (إيفا) المسكينة لا يتيسر لها إلا السكن في كهف. ماذا يمكن أن تفعل حينما يحل الشتاء؟ وصرخ "ن" بسبب ضوء الشمعة. سأضربه، لا أستطيع الانتظار طوال الليل حتى موعد قدومها. أرجو أن أعيش معها حتى ولو في خيمة، ولكن ليس في المعسكر. لم أعد أشعر بالسعادة في المعسكر. هل هذا لا يساوي شيئا.

آهٍ، يا (إيفا)، سأكون موجودا دائما لأجلك. لن تعودي إلى الإصلاحية مرة أخرى، أقسم لك على هذا، سأحميك دائما. "ن" يصرخ متوعدا بكسر صندوقي غدا. عليه أن يغامر بفعل هذا. أنا أحفظ في الصندوق أخص أسراري، التي تخصني ولا أحد سواي، وكل من يمس صندوقي يجب أن يموت.

الحكم

كل من يقترب من صندوقى سيموت.

قرأت هذه الجملة مرتين، وضحكت.

تفكير صبيانى. وأردت أن أفكر فيما قرأته، ولكنى لم أتمكن من هذا؛ لأنى سمعت صوت الأبواق من أطراف الغابة، وكان علَىَّ أن أسرع. الكتيبة تقترب. وبسرعة أعدت المذكرات إلى الصندوق وأردت أن أغلقه، أدرت المفتاح يمنة ويسرة ولكن بلا فائدة، ولم يمكننى غلقه، ولعنت المفتاح والقفل، ماذا يمكننى أن أفعل غير هذا؟

سيصل الشباب بعد قليل. أخفيت الصندوق المفتوح تحت السرير وغادرت الخيمة. لم يتبق شىء آخر بالنسبة لى.

وقدمت السرية.

"ز" يمشى فى الصف الرابع.

أنت لك فتاتك، واسمها (إيفا)، وتعلم جيدا أن حبيبتك تسرق، ومع ذلك فقد أَقْسَمْتَ أن تحميها.

إن هذا مثير للضحك. تفكير أطفال. طفولة بائسة.

هنا توقفت مجموعة العزف وانتهى العزف.

كنت أفكر: أنا أعرف أخص أسرارك، ولم أستطع أن أكمل ضحكي؛ لأنى رأيت النائب العام يقلب فى دوسيهات: أوراق الدعوى تتحدث عن سرقة، ومحاولة لإخفاء الجريمة، ولم تكن المتهمة (إيفا) وحدها ولكن آدم كان أيضا متهما. كان يجب القبض على "ز" حالا.

سأقص هذا على الشاويش وأخبر قائد البوليس. أم من الأفضل أن أتحدث عن كل شيء مع ؟ إنه موجود فى مكان الطبخ ويطلب ما يريد أن يأكله. سيفصل من المدرسة وستعود الفتاة إلى الإصلاحية مرة أخرى.

سيسجنان.

سيضيع مستقبلك يا "ز".

هناك أكثر الرجال تعثروا بسبب الحب. بسبب الحب الذى هو ضرورة فطرية، وإرادة إلهية.

وأتذكر العبارة: إن الرب هو أكثر الأشياء رعبا فى العالم؟

إنى أسمع ضوضاء، وصريخا وضجيجا موحشا.

تجمع الجميع عند خيمة.

عند الخيمة التى بها الصندوق.

تشاجر "ن" مع "ز" واستطعنا أن نفصل بينهما بصعوبة.

كان "ن"محمر الوجه ويسيل الدم من فمه.

قال الشاويش: إن "ن"كسر صندوق "ز".

لا. قالها "ن" : أنا لم أفعل هذا، لست أنا.

ومن غيرك إذا؟ صرخ بها "ز"، وتوجه إليّ: أخبرنى أيها المدرس، من غيره من الممكن أن يكون قد فعلها؟!

كذب. كذب.

هو الذى كسر الصندوق. ولا أحد غيره. لقد هددنى بكسره.

ولكنى لم أفعل.

صاح الشاويش: سكوتا!

وساد الصمت.

لم يصرف "ز" نظره عن "ن".

وتذكرت فجأة قوله: كل من سيلمس صندوقى سيموت. لاإراديا نظرت إلى السماء. السماء صافية.

عندى إحساس أن"ز" كان يمكن أن يقتل "ن".

وأحس بهذا.

وتوجه إلىَّ بصوت منخفض: سيدى المدرس، أريد أن أنتقل إلى خيمة أخرى.

حسنا.

حقيقة أنا لم أقرأ مذكراته، ساعدنى، أيها المدرس!

سأساعدك.

نظر إلىَّ "ز" وكأنه يقول لى: لن تستطيع أن تساعده.

أنا أعلم أنى قد حكمت على "ن".

كل ما أردته هو أن أعرف هل "ز" كان على علاقة باللصوص؟ ولم أرد أن أتهمه. ولهذا فتحت صندوقه.

لماذا لا أعترف بأننى الذى قرأت المذكرات؟

لا، ليس الآن! ليس هنا أمام الجميع! ولكنى سأعترف بهذا.

بالتأكيد! ولكن ليس أمام الجميع. أنا خجول من نفسى! سأعترف له عندما نكون وحدنا، رجلا لرجل! أنا أريد أن أتحدث مع الفتاة أيضا، عندما يقابلها مساء اليوم. سأقول لها إنها لا ينبغى أن تجعل أحدا يراها، وسأغسل دماغ هذا ال "ز" بعناية. ويجب عليهما أن يحافظا على ما أقوله لهما! انتهى!

والفتاة تتحمل كل جريمة تحدث فى المنطقة، كأنها طائر جارح.

ولكنى سأبرئ "ن".

فهو لم يفعل شيئا.

وسأعفو عن "ز" وعن الفتاة.

ولن أترك نفسى ليحكم علىّ أحد بأنى مذنب.

نعم فالرب أسوأ ما فى العالم، إلا أنى سأضيع عليه الفرصة بإرادتى. سأضيعها عليه وأنقذ الجميع.

وكما أظن. أشعر أن أحدا يحملق فى.

إنه "ت"

ينظر إلى بعينين دائرتين دونما بريق أو لمعان.

خطر (السمك) ببالى.

ويطيل النظر إلىَّ، بالضبط كما كان يطيله عندما دفن "و"

ويبتسم فى هدوء. هل يسخر؟

هل يعلم أنى من كسرت الصندوق؟

الرجل الذى على القمر

كان يوما طويلا بالنسبة لى. أخيرا غربت الشمس.

حل المغرب وانتظرت حتى يحل الظلام. حل الظلام وتسللت من المخيم. الشاويش كان يشخر ولم يرنى أحد. البدر فوق المعسكر، ولكن السحاب كان يحدث بعض الغيوم عند مروره. كان الغيم يزداد وفى كل مرة يحتاج البدر زمنا أطول حتى يظهر من بين السحاب مرة أخرى.

هناك، حيث تلامس الصحراء الخيام كانت نوبة حراسة "ز". جلست هناك خلف شجرة وأمعنت النظر فى الحراس. كان "ج" يتحرك خطوات إلى اليمين وخطوات إلى الشمال.

فى الأعلى ثارت عاصفة ولم تحرك شيئا على الأرض.

كانت أفرع الأشجار تتكسر من حين إلى حين.

توقف "ج" وبحلق فى اتجاه الغابة.

كنت فى مرمى بصره ولكنه لم يرنى.

هل كان خائفا؟

دائما ما تتحرك أشياء فى الغابة، وبخاصة فى الليل.

انتهت ورديته.

وأتى "ز" ، حيًا "ج" ثم انصرف.

وظل "ز" وحيدا.

تلفت حوله فى حذر ونظر إلى القمر.

هناك رجل على القمر، خطر ذلك على خيالى، وأنه جلس على حافة القمر يدخن الغليون ولا يشغل باله بأى شيء، ويبصق أحيانا علينا. ربما يكون عنده حق.

إنه سيعلم ماذا يفعل.

ظهرت الفتاة فى حوالى الساعة الثانية والنصف، ولم يصدر عن مجيئها أى صوت؛ لدرجة أنى لم ألحظ وجودها إلا عندما كانت واقفة بجانبه. من أين أتت؟

المهم أنها كانت موجودة.

حضنته وحضنها.

وقبل كل منهما الآخر.

كان ظهر الفتاة لى ولم أستطع أن أرى وجهه، إنها أطول منه.

سأذهب إليهما الآن وأتحدث إليهما. وقفت حذرا لئلا يسمعانى؛ و إلا فستهرب الفتاة منى وأنا أريد أن أتحدث معها.

كانا لا يزالان يتبادلان القبلات.

رأيت العجوز العمياء وهى تتعثر وتقع.

وظللت أفكر فى الفتاة لما كانت تراقب الوضع وتنظر من السياج.

كان ظهرها جميلا.

أريد أن أرى عينيها.

أتت سحابة وأظلمت الدنيا.

لم تكن سحابة كبيرة؛ فكان طرفها فضى. عندما يظهر القمر مرة أخرى سأذهب إليهما. ظهر القمر مرة أخرى الآن.

الفتاة عارية.

وهو يقف على ركبتيه أمامها.

إنها بيضاء جدا.

وأنا أنتظر.

يزداد إعجابى بها.

اِذْهَبْ إليهما! قل لهما إنك أنت من كسر الصندوق، أنت وليس "ن". اذهب إليهما! قم!

لم أذهب.

هو يجلس الآن على جذع شجرة وهى تجلس على ركبتيه. لها رجلان جميلتان.

اذهب!

الآن. حالا!

وأتت سحب أكثر سوادا من التى أتت قبلها وأكبر حجما، فلم يكن يظهر لها حد فضى ولم يظهر لها نهاية. اختفت السماء ولم أعد أرى شيئا.

أرهفت السمع، سمعت وقع أقدام فى الغابة.

كتمت أنفاسى.

من الذى يتحرك؟

أو أن هذا صوت الريح تحرك الأشجار؟

لم أعد أستطيع أن أرى حتى يدى.

أين أنتما يا آدم وإيفا؟

مكتوب على جبهتيكما البيضاوين، أنه يجب عليكما أن تحصلا على لقمة العيش. ولكن هذا لم يدر بخلدكما.

إيفا سرقت آلة التصوير، وأغلق آدم عينيه بدلا من أن يحرس المخيم.

غدا مبكرا سأخبره. سأخبر "ز" غدا أننى من فتح صندوقه. ولن يمنعنى شيء، حتى ولو أرسل الرب لى ألف فتاة عارية.

الظلمة تزداد.

التزمنى الصمت والظلام.

أريد أن أعود الآن.

وبحذر تحسست خطواتى.

خبطت يدى فى نبتة أمامى ونحيتها من طريقى.

استمررت فى تحسس طريقى بيدى. ارتجفت وتوقفت!

ما هذا؟

توقف قلبى.

أردت أن أصرخ بأعلى صوت، ولكنى سيطرت على نفسى.

ما هذا؟!

لا، هذا ليس شجرة.

بيدى الممتدة أمامى أمسكت وجها.

ارتعدت.

من الذى يقف أمامى؟

ولم أقدم على الاستمرار فى التحرك.

من هذا؟! أم هل أنا مخطئ؟

لا. لقد شعرت بكل وضوح بأنف وشفاه.

جلست على الأرض.

هل ما زال الوجه موجودا هنا؟

انتظر، حتى يأتى الضوء.

لا تتحرك!

فوق السحاب يدخن الرجل الذى هو فوق القمر.

بدأت تمطر قليلا.

أبصقت علىّ أيها الرجل الذى فوق القمر!

اليوم قبل الأخير

أخيرا انبلج الفجر وحل النور.

لا أحد أمامى. لا وجه ولا أى شيء.

عدت إلى المعسكر ثانية.

كان الشاويش مستلقيا على ظهره وفمه مفتوحا.

قطرات المطر تتساقط محدثة صوتا على جدران الخيمة.

عند هذه اللحظة فقط بدأت أشعر بالإرهاق.

النوم! أريد أن أنام.

عندما استيقظت كانت المجموعة قد انصرفت.

سأخبر"ز" عندما يعود بأنى من فتح صندوقه وليس"ن"

هذا هو اليوم قبل الأخير لنا هنا.

غدا سنفك الخيام ونعود إلى المدينة ثانية.

إنها تمطر بشدة ولا تتوقف إلا قليلا. الضباب يخيم على التلال ولا يمكننا أن نرى الجبال بسبب الضباب.

عادت المجموعة بعد الظهر، ولكنها عادت ناقصة.

لم يعد "ن" معهم.

قال الشاويش، إنه من الممكن أن يكون قد ضل طريقه وسوف يجد الطريق إلينا مرة أخرى.

فكرت فى الكهوف التى تحدث عنها "ز" فى مذكراته وانتابنى الشك.

هل هذا هو الخوف؟

يجب على أن أخبره الآن.

كان"ز" يجلس في خيمته ويكتب شيئا. كان وحده. لما رآنى قادما أغلق كراس مذكراته ونظر إلىَّ بحذر.

آه، ها نحن نسجل مذكراتنا من جديد. قلتها له محاولا التبسم. سكت ونظر إلىَّ. رأيت أن يديه مخدوشتان.

لاحظ أنى رأيت الخدوش، فارتجف ودس يديه فى جيوبه.

هل ترتعش؟ سألته ولم أصرف نظرى عنه.

سكت طويلا وأشار برأسه: نعم. وعلى وجهه ابتسامة سخرية.

قلت له بهدوء: اسمع! أنت تعتقد أن "ن" قد كسر صندوقك.

قال مقاطعا: أنا لا أعتقد هذا فقط ولكنى متأكد من أنه هو الذى فعل.

كيف لك أن تعرف؟

هو الذى قال لى هذا بنفسه.

حدقت فيه قائلا: هل هو من فعل هذا؟ ولكن هذا غير ممكن. إنه لم يفعل.

نظر إلى "ز" نظرة فاحصة للحظة وقال: لقد اعترف لى اليوم بأنه هو الذى فتح صندوقى ولم يستطع إغلاقه ثانية؛ لأنه كسر القفل.

ثم؟

طلب منى أن أسامحه. وسامحته.

تسامحه؟

نعم.

نظر حوله بلا اكتراث. تاه تفكيرى وتذكرت قولته: كل من سيلمس صندوقى سيموت.

هراء! هراء!

وسألته فجأة: هل تعرف أين يمكن أن يكون "ن" موجودا الآن؟

ظل هادئا تماما.

كيف لى أن أعرف. من المؤكد أنه تاه منا. فأنا قد تهت مرة... قم توقف ووقف وظهر عليه أنه لا يريد أن يتم كلامه. وعندها لاحظت أن سترته مقطوعة.

هل أقول له إنه يكذب؟ وإن "ن" لا يمكنه أن يعترف بهذا؛ لأنى أنا من قرأ مذكراته؟

ولكن لماذا يكذب "ز"؟

لا، ليس علىّ أن أفكر فى هذا.

لماذا لم أقل له أمس عندما كان يضرب "ن"؟ هل لأنى استحيت أن أعترف أمام تلاميذى أنى قد فتحت صندوق "ز" بقطعة سلك سرا على الرغم من أن نيتى كانت سليمة. – مفهوم، مفهوم!

ولكن، لماذا نمت صباح اليوم؟ صحيح أنى قضيت الليل جالسا فى الغابة ولم أفتح فمى! الآن يمكن أن نستفيد شيئا إذا ما فتحت فمى. إن الوقت قد فات.

أنا مخطئ.

أنا الحجر الذى عثر به. أنا الحفرة التى سقط فيها. أنا الصخرة التى سقط من عليها.

لماذا لم يوقظنى أحد صباح اليوم؟

لم أرد أن يبرئنى أحد ونمت بدلا من أن أدافع عن نفسى.
كنت أريد أن أنهى هذا الحساب، ولكن الحساب كان يجب أن يسدد منذ فترة طويلة. أردت أن أنقذ الجميع ولكننا جميعا غرقنا فى بحر الذنوب الأبدى.

من المذنب؟ هل من كسر القفل؟ أم من لم يغلقه مرة أخرى؟

لا يهم إن كان مفتوحا أو مغلقا. كان يجب عليَّ أن أقول هذا.

طُرُقُ الذنوب تتلاقى وتتقاطع وتتشابك. متاهة كل مراياها مكسورة.

مولد. مولد!

تفضلوا، أيها السادة!

كفروا عن ذنوبكم وتلقوا العقوبة بسبب وجودكم! لا تخافوا! إن الوقت قد تأخر.

خرجنا جميعا بعد الظهر لنبحث عن"ن".

غطينا كل المنطقة وناديناه: يا "ن"! ولم نتلق إجابة. ولم أكن أتوقع أن نتلقى إجابة.

رجعنا عندما حل المساء. بللنا المطر وكنا نرتجف من البرد. ولم تنجح عملية البحث.

قال الشاويش: إن استمر المطر بهذا الشكل فسيحدث فيضانا. وورد بخاطرى لما هدأ المطر الذى سيسبب الفيضان أن الرب يقول: أنا لا أريد أن أعاقب الأرض ثانية بسبب الإنسان.

وتساءلت: هل حافظ الرب على وعده؟

أمطرت ثانية بشكل أشد.

قال الشاويش لا بد وأن تبلغ البوليس أن "ن" قد تاه منا!

غدا.

أنا لا أفهم أيها المدرس، كيف تكون بهذا الهدوء؟!

أنا أظن أنه قد ضل طريقه إلينا، فمن السهل أن يضل الإنسان الطريق، ومن المحتمل أن يقضى هذه الليلة فى إحدى القرى.

لا توجد قرى فى هذه الناحية. وإنما الكهوف فقط.

انتبهت واقفا فقد كانت هذه الكلمة كالصاعقة بالنسبة لى.

قال الشاويش: كل ما نرجوه أن يكون جالسا فى كهف وأن يكون سليما لم يصب بكسر.

نعم، نرجو هذا.

سألت الشاويش فجأة: لماذا لم توقظنى صباح اليوم؟

لم أوقظك؟ وضحك. لقد أيقظتك طويلا ولكنك ظللت ممددا كما لو كان الشيطان قد أخذك.

صحيح أن الرب أفظع شيء في العالم.

آخر يوم

أتى الرب فى آخر يوم لنا فى المعسكر.

كنت أنتظره.

كان الشاويش والأولاد يحلون الخيام عندما جاء.

ظهوره علينا كان مرعبا.

كان سيئا بالنسبة للشاويش وخار فجلس.

وقف التلاميذ مرتاعين كأنهم قد شلوا. وبعد فترة تحركوا بهدوء وكانوا مضطربين.

كان "ز" هو الوحيد الذى لم يتحرك.

جلس على الأرض ثم قام وبدأ يذهب ويجيء لبضعة أمتار.

وخيل لى أن كل شيء يصرخ.

ما عدا "ز" فقد ظل صامتا.

ماذا حدث؟

ظهر فى المعسكر اثنان من العاملين فى قطع الأخشاب بالغابة يحملون حقيبة ظهر ومنشارا وبلطة. وأخبرونا أنهم وجدوا صبيا. وبطاقته المدرسية معهم. كانت بطاقة "ن".

كان ملقى فى حفرة بجوار كهف وفى رأسه جرح كبير، وهذا بسبب حجر رمى به أو وبسبب ضربه بشيء صلب على رأسه.

على كل الأحوال فقد قضى نحبه. مات. مات.

قال العاملان: لابد وأن يكون أحد قد ضربه.

ذهبت مع العاملين إلى القرية قاصدين البوليس. أسرعنا ولكن الرب تخلف.

اتصل الضابط بالنيابة فى المدينة وأرسلت تلغرافا لرئيسى.

وصلت هيئة التحقيق فى جرائم القتل إلى مكان الجريمة.

هناك كان "ن" ملقى فى حفرة.

كان ملقى على بطنه.

أخذ المصورون صورا له.

أخذ السادة يدققون البحث فى المنطقة بحثا عن أدوات الجريمة وعن أى أثر لها.

اكتشفوا أن "ن" لم يضرب فى الحفرة ولكن بعيدا عنها بحوالى 20 مترا. كانت الآثار التى تدل على جره إلى الحفرة واضحة. جروه إليها حتى لا يجده أحد.

ووجدوا أداة الجريمة وكانت حجرا مدببا مغطى بالدماء. ووجدوا قلم رصاص وبوصلة. وأكد الطبيب أن الحجر قد قذف بقوة كبيرة من مسافة قريبة على رأسه ورمى غيلة من خلفه.

ألم يتمكن"ن" من الهرب؟

لابد وأن تكون الجريمة تمت بعد صراع شديد تسبب فى قطع السترات وخربشة الأيدى.

لما وصلت هيئة التحقيق نظرت إلى "ز". كان يجلس وحده وكانت سترته ممزقة ويداه مخربشتين. مر كل هذا بذهنى.

ولكنى سأحذر من التحدث بهذا. ليست سترتى ممزقة وليست هناك خربشة على يدى. ولكنى مذنب رغم كل هذا.

استجوبنا السادة.

لم يعرف أحد منا شيئا عن مجرى الجريمة. لا أنا ولا حتى "ز"

عندما سألنى وكيل النيابة: هل عندك شك فى شيء؟

رأيت الرب. كان خارجا من الخيمة التى كان "ز" ينام فيها، وكانت المذكرات اليومية فى يده.

ولم تتنزل عينه عن "ز" كان يتحدث مع "ر"

ولم تتنزل عينه عن "ز" ولم يبدُ أن "ر" كان قد رأى الرب، ولكنه كان يسمعه.

اتسعت حدقتا عينيه عندما نظر إلى الأرض الجديدة.

سمعت وكيل النيابة يسأل: هذا ما تعنى؟! ليس لديك شك فى شيء؟

لا.

صرخ وكيل النيابة: لقد كان"ز" و"ن" دائمى الشجار

لقد قرأ "ن" المذكرات اليومية الخاصة بـــ "ز" وهذا أوجد

عداوة بينه وبين الذى كان يكتب مذكراته ويحفظها فى صندوق أزرق من الصاج.

كل الأنظار تتجه إلي"ز", لدرجة أنه لا يمكن لأحد يرى إن كان وجهه أحمر أم أبيض. دخل "ز" ببطء.

ووقف أمام وكيل النيابة.

حل الصمت.

نعم. قالها بصوت خفيض. أنا من فعلها.

بكى.

نظرت إلى الرب. كان يضحك.

لماذا؟

ولما كنت أسأل نفسي هذا السؤال لم أره. لقد انصرف.

الزملاء

ستبدأ المحاكمة غدا.

جلست فى شرفة مقهى وقرأت الجريدة. الليل بارد، إذ إنّ الخريف قدم مرة أخرى. منذ أيام كثيرة والجرائد تعلن عن السبق الصحفى والخبر المثير. بعضها تحت عنوان: جريمة قتل وبعضها الآخر تحت عنوان: جريمة قتل"ن". إنهم يوردون أفكارا وقصصا ويسلطون الضوء على جرائم الشباب ويتحدثون عن الشباب ويتنبؤون وينتقلون من موضوع لموضوعات أخرى ويعودون، ولا أدرى كيف، إلى حادث "ن"، "ز".

أتانى أحدهم صباح اليوم وأجرى حديثا معى سينشر فى الجريدة المسائية. أنا أبحث عن هذه الجريدة. فقد كانوا قد أخذوا صورا لى.

نعم. هذه صورتى! تعرفت على صورتى. حقيقة أنا فى الصورة لطيف وظريف. ومكتوب تحت الصورة: ماذا قال المدرسَ؟

والآن، ماذا قلت؟

قابل أحد زملائنا صباح اليوم أحد المدرسين فى المدرسة الثانوية، الذى كان مشرفا على المخيم فى الربيع فى الوقت الذى

حدثت فيه المأساة المشئومة والتى كان بطلها الشباب. قال المدرس: إن هذا كان لغزا بالنسبة لى ولا يزال. إن "ز" كان تلميذا ذكيا ولم يلحظ المدرس شيئا غير طبيعى فى شخصيته ولم تظهر عليه نقائص ولا غرائز عدوانية. وطرحنا السؤال التالى على المدرس: هل لهذه الجريمة جذور من عدوانية الشباب؟ وهذا ما عارضه المدرس بشدة وقال: شباب اليوم ليسوا عدوانيين بأى حال من الأحوال بل أكثر من ذلك؛ فهم بفضل الصحة العامة مؤمنون بالواجب ومحبون للتضحية ووطنيون. حادثة القتل هذه حادثة فردية مؤسفة وعودة إلى أزمان الحرية السيئة. دق الآن جرس المدرسة، وانتهت الفسحة واستأذن المدرس للانصراف ودخل الفصل لتربية التلاميذ وتحويل أرواحهم الرحبة إلى مواطنين لهم قيمة. الحمد لله أن "ز" كان حالة استثنائية لمخالفة الفردية الإجرامية.

بعد المقابلة معى أجروا حديثا مع الشاويش. وصورته كانت فى الجريدة وكان كما يبدو فى الصورة أنه معجب بنفسه.

والآن، ماذا قال الشاويش؟

قابل زميلنا القائد العسكرى فى ذاك الوقت واسمه "م أ"، الذى استقبل زميلنا بلطف شديد. كان له البنيان القوى لمحارب قديم كبير فى السن. وتبعا لوجهة نظره فإن الحادث يعود لقلة فى الأدب وفى

نظام حسن السلوك. وأفاض فى الكلام عن حالة جثة المقتول وكيفية الحصول عليها.

ومع أنه اشترك فى الحرب العالمية ولكنه لم ير جرحا فظيعا كهذا. وأنهى كلامه بقوله: بصفتى محارب عجوز فأنا من الذين ينادون بالسلام.

زار زميلنا رئيسة الاتحاد الذى يقف ضد إهمال الأطفال وتشريدهم. أسفت السيدة للواقعة من أعماقها ولم تستطع النوم لليال؛ لأن الكوابيس تزعج هذه السيدة الفاضلة، وهى ترى أننا يجب ألا نتأخر أكثر من ذلك؛ لأن الضرورة الاجتماعية تحتم – بناء على الأسباب الواضحة – أن نبنى إصلاحيات أفضل من الموجودة.

قلبت صفحات الجريدة. آه، من هنا؟ صحيح. إنه الخباز والد التلميذ "ز" الذى قتل وزوجته السيدة "الزيبت ن" واسم عائلة أبيها "س" لها صورة هنا أيضا.

قال السيد الخباز لزميلنا: يسعدنى أن أجيب على سؤالك. ستحدد المحاكمة العادلة النزيهة إذا كان ابننا المسكين ليس ضحية فقط لاستهتار الرقابة وإهمالها. أنا أقصد المدرس وليس" م أ". لابد وأن يوجد نظام لانتقاء المدرسين واختيارهم؛ فقد زاد عدد أعداء الدولة بشكل واضح. وسنتقابل عند "فيليب" مرة أخرى.

وقالت زوجة الخباز: إن "أوتو" كان لى كالشمس. ولم يتبق لى إلا زوجي. ولكنى سأظل فى اتصال روحى مع ابنى. أنا فى دائرة روحية معه.

واستمررت فى القراءة.

مكتوب فى جريدة أخرى: أن أم القاتل تقيم فى شقة بها ثلاث غرف. وهى أرملة الأستاذ الجامعى "ز" ، الذى مات قبل حوالى 10 سنوات. الأستاذ "ز" كان أستاذا عظيما فى علم النفس. ودراساته حول رد الفعل العصبى كانت محط الاهتمام. وقبل 20 سنة بنى خطة أهداف الجمعية التى كانت ضد "تشريح الحيوانات لأهداف علمية".

امتنعت السيدة أرملة الأستاذ عن أن تقول لنا أى شىء للأسف. كل ما قالته: ألا يمكنكم أيها السادة أن تفكروا فيما عانيته؟ إنها فى متوسط العمر وحزينة.

وجدت محامى المتهم فى جريدة أخرى. لقد تحدث معى ثلاث مرات وهو متحمس جدا لهذه القضية. إنه محام صغير السن ويعلم ماذا يمكنه أن يكسب من اللعبة. وهو محط أنظار الجميع.

إنه حديث طويل. بدأ حديثه بقوله: إن قضية مثل قضية القتل هذه – أيها السادة – تضع المحامى فى وضع متأزم لا يجابهه

المحامى فقط ولكن يجابهه المتهم أيضا، اللذان يجب عليهما أن يستمرا فى الدفاع.

كيف؟

إن المتهم - أيها السادة- اعترف بجريمة ارتكبها شخص آخر. إنه ضرب أفضى إلى الموت وليس جريمة قتل. وهذا ما أود أن ألفت النظر إليه. وبالرغم من اعتراف المتهم فإنى واثق تماما من أنه ليس الجانى وواثق أيضا من أنه يخفى شخصا ما.

ألا تعنى بهذا أن شخصا آخر قد ارتكب هذه الجريمة؟ نعم - أيها السادة- هذا ما أعنيه، بصرف النظر عن أن هذا ما يمليه عَلَىَّ إحساسى فعندى أسباب كثيرة لتعليل رأيى. ليس هو. فكروا مرة فى الدافع للجريمة! لقد ضرب زميله لأنه قرأ مذكراته. ولكن ماذا كانت تحويه المذكرات؟ أهم ما ورد فى المذكرات ما جاء عن الفتاة. إنه يحميها وقال بما لا يحتمل التأويل: سأقتل كل من يقترب من صندوقى". هذا صحيح، صحيح. كل هذا ضده، ولكن هذه ليست الحقيقة كاملة. وبصرف النظر عن أن اعترافه لا يخلو تماما من مروءة بل أخلاق الفرسان. أفلا يكون من المستغرب أنه لا يذكر شيئا بالمرة عن جريمة القتل؟ ولم يذكر كلمة واحدة عن مجرى الجريمة! لماذا لا يقول لنا أى شىء عنها. إنه يقول إنه لم يعد يذكر شيئا عنها، وهذا لأنه لا يعلم شيئا عنها فهو لا يعرف كيف ولا أين

ولا متى قتل زميله. كل ما يعرفه أنه قد مات بضربة حجر. ولما عُرضت عليه أحجارٌ، لم يعرف الحجر المقصود.

إنه – أيها السادة– يستر شخصا آخر.

ولكن ماذا عن القطع في سترته والخربشة التي على يديه؟

إنه بالتأكيد قابل "ن" على صخرة وتشاجرا. كل هذا يرويه لنا بكل تفاصيله. ولكنه لا يذكر لنا أي شيء عن تسلله خلف "ن" وقذفه بحجر. إن من قذف "ن" بالحجر شخص آخر أو مجموعة من الأشخاص. شخص آخر؟! أتقصد الفتاة بهذا؟

نعم بالتأكيد إنها من أعني .

إنها كانت ولا تزال تسيطر عليه. إنه ينصب إليها. وسنستمع أيها السادة إلى الطبيب النفساني.

هل استدعيت الفتاة للشهادة؟

نعم! لقد أُلقِيَ القبض عليها بعد عملية القتل بوقت قليل في كهف وحكم عليها مع مجموعتها.

من المحتمل أن نرى "إيفا" غدا ونسمعها.

كم من الوقت ستستغرق المحاكمة؟

أنا أظن أنها لن تزيد عن يومين أو ثلاثة أيام.

لم يستدع للمحاكمة شهود كثيرون.

ولكن يجب عليَّ أن أدافع عن الصبي بكل قوة.

وسأفوز في المباراة.

وسيحكم عليه فقط بسبب تستره على السرقة. هذا كل شيء.

نعم، هذا كل شيء.

جريمة قتل" ز" أم " ن"

كان هناك ثلاثمائة شخص أمام المحكمة. كلهم أرادوا الدخول إلا أن الباب كان مغلقا؛ لأن تصاريح الدخول كانت قد وزعت قبل أسبوعين لدواع أمنية وزادت الرقابة اليوم. كان من الصعب أن يتحرك الإنسان في هذا الزحام.

الكل أراد أن يرى "ز".

وبخاصة النساء.

الأرستقراطيات منهن وغير الأرستقراطيات أردن أن يرين الفاجعة التي ستمنعهن من أن ينجبن أطفالا. كن يذهبن إلى الفراش بمصائب الآخرين ويحررن أنفسهن منها بعطف ورثاء مصطنع مزيف.

اكتظت شرفة الصحفيين بهم.

استدعى والدا"ن" وأم "ز" والشاويش و"ر" الذى كان يقتسم الخيمة مع"ن" و"ز". وعاملا قطع الأخشاب فى الغابة، اللذان وجدا الجثة والمحقق وضابط البوليس وغيرهم. استدعوا جميعا للإدلاء بشهادتهم.

وطبعا أنا.

وكذلك "إيفا" أيضا.

ولكنها لم تكن فى القاعة؛ إذ يجب أن تعرض على المحكمة أولا.

وكيل النيابة والمحامى وقفا يتصفحان ملفاتهما.

جلست "إيفا" فى فقص فردى وتنتظر أن ينادى عليها.

ظهر المتهم يقوده حارس. كان كما يبدو دائما، ولكنه كان شاحبا وكان يرمش كثيرا؛ لأن الضوء كان يزعجه. وكان يبدو متماسكا.

جلس على مقعد المتهمين الذى كان مثل مقعد فصل فى مدرسة.

الكل ينظر إليه.

تلفت لفترة قصيرة ونظر إلى أمه.

رمقها ببصره.

ما الذى يختلج فى صدره؟

لا شيء فيما يبدو.

لا تكاد أمه تنظر إليه.

أو أن هذا ما يبدو!

لأنها ملتحفة بالسواد.

لا يظهر وجهها.

حيانى الشاويش، وأشار إلىَّ بِمَا معناه، هل قرأت حديثى المنشور فى الجريدة؟

قلت له: نعم. سمع الخباز صوتى ونظر إلىَّ بخبث. كان يريد أن يضربنى.

يضربنى بجذع شجرة جاف.

الحجاب

دخل قاضى الأحداث ووقف كل من فى القاعة وجلس وافتتح الجلسة.

إنه يبدو كجد طيب.

ستتلى الآن عريضة الاتهام.

لم يدع على "ز" بمحاولة القتل، ولكن بالقتل، وعليه.

أحنى الجد رأسه وكأنه يقول: آه! هؤلاء الأطفال!

ووجه الخطاب إلى "ز".

وقف "ز".

أدلى ببياناته الشخصية ولم يبد عليه الخجل.

وحكى حكايته. ألقى نظرة على أمه وارتبك وحار.

بدأ يتكلم بصوت منخفض كما يتحدث الأطفال دائما. لم يكن أبواه صارمين كباقى الآباء. وتوفى أبوه وهو صغير.

هو وحيد أبويه.

جففت أمه دموعها من فوق الحجاب بمنديل.

حكى ابنها ماذا كان يرجو أن يصبح. نعم، لقد كان يود أن يصبح مخترعا. ولكنه كان يريد أن يخترع الأشياء الصغيرة مثل الأقفال.

أومأ الرئيس بما يعني: صواب التفكير. ولكن إن لم يمكنك أن تخترع شيئا؟

عندئذ كنت أود أن أصبح طيارا، ويا حبذا لو أطير إلى ما وراء البحار.

لم أستطع أن أمنع التفكير متسائلا: إلى السود؟

وكان الوقت يمر سريعا عندما كان "ز" يحكى أحلامه السابقة. ووصل فى حديثه إلى اليوم الذى جاء فيه الرب. وصف "ز" حياة المعسكر وإطلاق النار والمارشات العسكرية وتحية العلم والشاويش وأنا. وقال جملة عجيبة:

إن أفكار مدرسنا كانت بالنسبة لى أفكارا صبيانية.

اندهش الرئيس.

كيف؟

لأن المدرس كان يتكلم فقط عما يجب أن يكون عليه العالم وليس عن واقع العالم.

نظر إليه القاضى بإكبار وشعر بأن الصبى سيدخل المنطقة التى تحول فيها الشوق إلى الأخلاق إلى موضة بالية، فى الوقت الذى لا يلتفت فيه أحد إلى وحشية الواقع.

نعم. ظهر وكأنه يشعر بهذا وكأنه يبحث عن الفرصة المناسبة التى يستطيع فيها أن يترك الأرض.

وسأل "ز" فجأة: هل تؤمن بالرب؟

أجاب "ز" دون أن يفكر: نعم.

هل تعلم الوصايا الخمسة؟

نعم.

هل أنت نادم على فعلتك؟

وحل الصمت فى القاعة.

نعم. قالها "ز". أنا نادم على ذلك جدا.

ندمه كان يبدو غير صادق.

تمخط القاضى؟

وصل الاستجواب إلى يوم الجريمة.

ولاكت الأفواه كل التفصيلات التى يعرفها الجميع مرة أخرى.

قال "ز" مشينا فى الصباح الباكر فى طابور عسكرى وزحفنا مارين بالأدغال حتى وصلنا إلى السلسلة الجبلية التى كان الأعداء قد احتلوها. وبجانب الكهف قابلت "ن" صدفة على الصخرة التى كنت واقفا عليها. كنت مغتاظا منه جدا؛ لأنه فتح صندوقى وأنكر هذا ولم يعترف به.

قاطعه القاضى قائلا: لقد قال المدرس فى المحضر أمام قاضى التحقيقات إنك قلت له إنه اعترف لك بأنه قد فتح صندوقك.

لقد كذبت عليه.

لماذا؟

حتى أبعد عن الاتهام إذا ما اكتشفت الجريمة.

أكمل!

دخلت مع "ن" فى مشاجرة وأسقطنى على الأرض، فغلى الدم فى رأسى فوقفت ورميته بحجر.

هل كنتما على الصخرة؟

لا.

أين إذا؟

نسيت هذا.

ضحك القاضى.

لا تنتظروا منه أن يقول شيئا زيادة عن هذا.

إنه لم يعد يذكر شيئا.

ما الذى تتذكره بعد هذا؟

عدت إلى المعسكر وسجلت فى مذكراتى أنى تشاجرت مع "ن".

نعم. هذا آخر ما تتذكره، ولكنك لم تكمل الجملة الأخيرة.

لأن المدرس أزعجنى.

ما الذى كان يريده منك؟

لا أدري

حسن.فليقل لنا هو هذا.

كان كشكول المذكرات وقلم رصاص وبوصلة وحجر موضوعين على منصة المحكمة. وسأل القاضى "ز"

مرة أخرى إن كان بإمكانه أن يتعرف على الحجر مرة أخرى.

أشار"ز" برأسه نعم.

لمن هذا القلم وهذه البوصلة.

ليسا لى.

قال القاضى إنهم ملك "ن". ونظر فى الملف أمامه وقال: لا القلم الرصاص فقط كان ملكا لــ"ن".

لماذا لم تقل إن البوصلة تخصك؟

احمر وجه "ز".

اعتذر بصوت خفيض.

وقف المحامى عند هذا وقال: سيدى الرئيس، من الممكن ألا تكون البوصلة له.

ما الذى تريد أن تقوله بهذا؟

ما أريد أن أقوله هو أن البوصلة التى لا تخص "ن" وقد لا تخص "ز" من الممكن أن تخص شخصا آخر. واسألوا المتهم: ألم يكن هناك شخص آخر عندما حدثت الجريمة؟

جلس المحامى ورمقه "ز" بنظرة عدوانية قصيرة.

قال مؤكدا: لم يكن هناك بأى حال شخص آخر.

عندها وقف المحامى وهو يقول: كيف له أن يتذكر بكل هذه القوة أنه لم يكن هناك شخص آخر فى حين أنه لا يمكنه أن يتذكر متى ولا أين وقعت الجريمة؟

سمعنا صوت وكيل النيابة يقول: إن السيد المحامى يريد بهذا فيما يبدو وبطريقة ساخرة أن يصل بنا إلى أن "ز" ليس هو الجانى ولكن شخصا آخر غير معروف هو من قام بارتكاب الجريمة.

قال المحامى مقاطعا: أنا لا أعرف إن كان يمكننا أن نسمى الفتاة التى ورد اسمها فى التحقيقات "شخصا غير معروف".

قال وكيل النيابة: لم تكن الفتاة.

لقد استجوبناها واستدعاها قاضى التحقيقات للشهادة. وبصرف النظر عن أن المتهم قد اعترف بارتكاب الجريمة ولقد اعترف بها أمامنا الآن.

وهذا قد يساعده، فإن وجهة نظر المحامى والتى يحاول بها أن يرتب الأمور على أن الفتاة هى التى قامت بعملية القتل وأن "ز" يحاول أن يتحمل الجريمة وهم وخيال.

انتظر، قالها المحامى وابتسم وتوجه إلى المتهم بقوله:

ألم تسجل فى مذكراتك أن الفتاة رمتنى بحجر لو أصابنى لكنت قد مت؟

نظر إليه "ز" ثم حول وجهه عنه.

لقد بالغت فى هذا. لقد كان حجرا صغيرا.

وأعطاه ظهره فجأة.

لا تدافع عنى بعد الآن أيها الدكتور فأنا أريد أن أنال عقوبة ما اقترفته.

صرخ المحامي في وجهه: وأمك؟ ألا تفكر فى أمك وما ستعانيه؟ إنك لا تدرى ماذا تفعل؟

وقف "ز" مطأطأ الرأس.

ونظر إلى أمه وتمعن فيها.

نظر الجميع إلى أمه ولم ير أحد وجهها بسبب الحجاب.

فى المسكن

منح القاضى فترة راحة قبل استجواب الشهود. كان هذا عند منتصف النهار وخرج الناس من القاعة فى هدوء. وقيد المتهم. ونظر كل من وكيل المتهم ووكيل النيابة إلى الآخر نظرة الواثق من النصر.

ذهبت للتنزه فى متنزه أمام المحكمة. كان يوما معتما مليئا بالضباب وباردا.

كانت الأوراق تتساقط فقد كان الخريف قد حل.

ذهبت إلى ناصية ووقفت هناك ثم استمررت فى السير.

كانت أم "ز" تجلس على مقعد.

لم تتحرك.

لاحظت أنها متوسطة الطول.

حييتها ولم ترد.

من الممكن أنها لم تكن قد رأتنى.

ومن الممكن أنها كانت فى مكان آخر.

لقد مر الوقت الذى كنتُ لا أؤمن فيه بالرب. أنا أؤمن به، ولكنى لا أحبه. كنت أراه كما رأيته عندما كان يتحدث مع "ر" فى المعسكر ولم يصرف نظره عن"ز". إن عينيه ماكرتان وخادعتان وباردتان. باردتان جدا. أنه ليس جيدا.

لماذا يترك أم "ز" تجلس هكذا؟ ما الذى ارتكبته؟ ماذا يمكنها أن تفعل لما فعله ابنها؟ لماذا يعاقبها إذا كان يلعن ابنها؟ إنه ليس عادلا.

أردت أن أشعل سيجارة. يا لى من غبى، فقد نسيتُ السجائر فى المنزل. غادرت المتنزه وبحثت عن كشك سجائر.

وجدت كشكا فى شارع خلفى.

كشك أصحابه زوجان عجوزان. عدت لى المرأة عشر سجائر فى وقت طويل. إن هذين الزوجين يعطل أحدهما الآخر ولكنهما متحابان. أعطتنى العجوز أقل من الباقى لى وأعلمتها هذا مبتسما. ذُعِرَت وقالت: فليرحمنا الرب. وفكرت فى نفسى: لو كان الرب يحميك، إذا لأحسست بالسكينة.

لم يكن عندها نقود صغيرة (فكة) وذهبت إلى الجزار لتحصل منه على فكة.

ظللت مع الرجل العجوز وأشعلت سيجارة.

وسألنى هل أعمل فى المحكمة؛ لأن معظم زبائنه من العاملين فى المحكمة. وبدأ يتحدث عن جريمة القتل. كان صدى الاهتمام بالقضية كبيرا وكانت يد الرب واضحة فى هذا.

يد الرب؟

قال: نعم؛ لأن كل المشتركين فى هذه القضية يبدون وكأنهم مذنبون. حتى الشهود الشاويش وكذلك الآباء والمدرس.

نعم، فليس الأبناء فقط ولكن الآباء أيضا لا يفكرون فى الرب. الكل يتصرف وكأنه ليس هناك رب.

نظرت إلى الشارع.

خرجت العجوز من عند الجزار وذهبت إلى المخبز. لم يكن عند الجزار فكة. لم أر أى شخص فى الشارع ولم أفهم أن لا يكون عند الجزار فكة يعنى أننى يجب أن أنتظر.

نظرت إلى المبانى الرمادية المرتفعة وقلت: لو أمكن للمرء أن يعرف أين يقيم الرب؟

سمعت صوت الرجل العجوز يقول: إنه فى كل مكان. فى مكان لا ينسى فيه شيئا. إنه موجود معنا؛ فنحن لا نتشاجر أبدا.

أخذت نفسا.

ما هذا؟

هل كان هذا صوت الرجل العجوز؟

لا. هذا لم يكن صوت الرجل العجوز. كان صوتا آخر.

من الذى يتحدث إلىَّ إذا؟

ولم أتلفت حولى.

وسمعت الصوت مرة أخرى يقول: عندما تدلى بشهادتك وتذكر اسمى فلا تخفى أنك من فتح الصندوق.

الصندوق!

لا. فسأعاقب؛ لأنى لم أقبض على اللص.

كان عليك أن تفعل هذا أيضا.

وسأفقد وظيفتى – لقمة عيشى.

يجب عليك أن تفقدها حتى لا يوجد الظلم.

ماذا عن والدىَّ؟

إننى أساعدهم.

هل أريك طفولتك؟

طفولتى؟

أمى كانت تقرص أذنى. وأبى كان يسبنى. كانا دائمى الشجار. أنت لم تكن تقيم معهم. إنك كنت تمر عليهم فقط، ومجيئك لم يجلب معه أى نوع من السعادة.

أريد أن أبكى.

سمعت الصوت يقول: قل هذا! قل إنك من فتح الصندوق. قدم لى معروفا ولا تجعلنى أتألم مرة أخرى!

البوصلة

افتتحت الجلسة مرة أخرى.

كان دور الشهود قد أتى.

أدلى الجميع بشهادته، عاملا قطع الأخشاب بالغابة ورجل البوليس وقاضى التحقيقات والشاويش وكذلك الخباز وزوجته. قال الجميع ما يعرفونه. وهم لا يعرفون شيئا. لم يترك الخباز الفرصة وذكر رأيى عن السود. ووجه اتهامات شديدة لروحي الشكاكة. نظر الرئيس إليه فى استنكار ولكنه لم يجرؤ أن يقاطعه.

نودى على أم "ز".

وقفت وتقدمت إلى المنصة.

قال لها القاضى إنه يمكنها ألا تقول شيئا. قاطعته وأرادت أن تدلى بأقوالها.

بدأت الكلام دون أن تنزع حجابها قائلة: إن "ز" طفل هادئ ولكنه سريع الغضب ولقد ورث سرعة الغضب هذه عن والده ولم يمرض مرضا شديدا ولكنه مر ببعض أمراض الطفولة. ولم يصب أحد فى العائلة بمرض نفسى، لا من جهة الأب ولا من جهة الأم.

وقطعت كلامها وسألت القاضي: هل يمكنني أن أطرح على ابني سؤالا؟

تفضلي!

قربت من المنصة وأخذت البوصلة في يدها وتوجهت إلى ابنها وسألته في تهكم: منذ متى وأنت لديك بوصلة؟

لم يكن لديك واحدة في يوم ما. ولقد تشاجرنا قبل سفرك إلى المعسكر؛ لأنك قلت: كل واحد معه بوصلة إلا أنا وبدون واحدة سأتوه. فمن أين لك هذه؟

حدق"ز" فيها.

توجهت كأنها منتصرة إلى الرئيس قائلة: هذه البوصلة ليست له وقد قام من فقدت منه هذه البوصلة بعملية القتل.

سرت همهمة في القاعة وسأل الرئيس "ز": هل سمعت ما قالته أمك؟

وكان "ز" لا يزال ينظر إليها.

وقال في بطء: نعم. إن أمي تكذب.

وقف المحامي بسرعة وقال: أنا أطالب بعمل تقرير عن الحالة العقلية للمتهم.

قال الرئيس: ستدرس المحكمة هذا الطلب فيما بعد.

نظرت أم "ز" إليه وقالت: أنا أكذب؟ أنا؟

نعم.

صرخت الأم وقالت: لا. أنا لم أكذب ولا مرة واحدة فى حياتى ولكنك دائما ما كنت تكذب. أنا أقول الحقيقة، والحقيقة فقط ولكنك تريد أن تحمى هذه الإنسانة القذرة الفاسدة.

إنها ليست كذلك!

صرخت الأم قائلة: أغلق فمك! وكانت عصبيتها تزداد. إنك تفكر فى هذه الحقيرة ولا تفكر أبدًا فى أمك المسكينة!

إن لهذه الفتاة قيمة أكبر من قيمتك!

قال الرئيس: هدوء! وحكم على "ز" بالحبس يومين بسبب سب الشهود وأكمل إن الطريقة التى تعامل أمك بها طريقة شاذة.

فقد "ز" هدوءه.

وانفجرت ثورته التى ورثها عن أبيه.

وصرخ: إن هذه ليست أما. إنها لم تهتم بى أبدا كانت تشغل بالها بالخادمات فقط؛ فمنذ وعيت وأنا أسمعها تشتم الخادمات فى المطبخ بصوتها المنفر.

إنه كان دائم الميل إلى الفتيات يا سيدى الرئيس، تماما كما كان أبوه. وضحكت ضحكة خفيفة.

قال لها ابنها: لا تضحكى يا أمى. ألا تذكرين (تُكْلا)؟

ماذا عنها؟

كان عمرها 15 عاما وكنت تذيقينها الأمرين كلما أمكنك ذلك. كانت تكوى الملابس حتى الحادية عشرة وتستيقظ فى الرابعة والنصف، ولم تكن تحصل على شىء تطعمه. ثم هربت. ألا تذكرينها؟

نعم. لقد سرقت.

حتى يمكنها أن تعيش.

كان عمرى وقتها ست سنوات وعرفت بالضبط عندما عاد والدى وقال إن الفتاة المسكينة قد ضبطت وأدخلت الإصلاحية. كان الذنب ذنبك أنت وليس غيرك.

أنا؟

والدى قال هذا.

أبوك! أبوك! لقد قال أشياء كثيرة.

والدى لم يكذب أبدا. لقد تشاجرتما مشاجرة عنيفة حينئذ ولم يبت والدى فى البيت. هل تذكرين؟ وإيفا مثل تكلا. لا يا أمى، لم أعد احبك.

ساد الصمت فى القاعة.

وقال لها الرئيس: شكرا يا سيدتى حرم الأستاذ.

الصندوق

وجاء دورى.

كانت الساعة الخامسة إلا الربع.

طلب منى أن أحلف يمين الشهادة.

حلفت بالرب أن أقول الحقيقة ولا أخفى شيئا.

نعم، لا أخفى شيئا.

وبينا كنت أقسم اليمين حدث اضطراب فى القاعة.

ما الذى حدث؟

تلفت قليلا ورأيت إيفا.

كانت تجلس على منصة الشهود برفقة حارسة المسجونات.

مر بخاطرى أنى أريد أن أرى عينها.

سأراهما بعد أن أنتهى من شهادتى.

لم أتمكن من هذا.

أعطيتها ظهرى لأن المصلوب كان أمامى.

ابنه.

نظرت إلى "ز".

كان يضحك.

هل تضحك هى أيضا خلف ظهرى؟

أجبت أسئلة الرئيس.

ومر مرة أخرى على "السود" نعم، نحن متفاهمان. شهدت فى حق"ن" وكذلك فى حق "ز" شهادة جيدة. لم أكن موجودا عند حادثة القتل. كاد الرئيس أن يسمح لى بالانصراف عندما قاطعته قائلا: أريد أن أضيف شيئا صغيرا، سيدى الرئيس.

تفضل!

إن "ن" لم يفتح ذاك الصندوق الذى كانت المذكرات فيه.

ليس"ن"! من إذا؟

أنا. أنا من فتح الصندوق بقطعة من السلك.

كان أثر هذه الجملة كبيرا.

سقط القلم من يد الرئيس ووقف المحامى وحملق "ز" فى وفمه مفتوحا. وصرخت أمه وشحب وجه الخباز ومسك قلبه.

وإيفا؟

لا أعلم.

شعرت بخوف وعدم راحة خلفي.

سرت زمجرة وهمس.

وقف وكيل النيابة مشدوها وأشار إليّ وسألني ببطء: أنت؟!

أجبت: نعم. وعجبت من هدوئي وشعرت بأنني رقيق.

وبدأت أحكي كل شيء.

لماذا فتحت الصندوق ولماذا لم أعترف لـ"ز" بهذا؛ لأني استحييت منه وجبنت أن أعترف له.

حكيت كل شيء.

لماذا قرأت المذكرات ولماذا لم أقم بالنتيجة القانونية لأني أردت أن أنهي هذا الحساب بحساب آخر. نعم، لقد كنت غبيا. لاحظت أن وكيل النيابة أخذ في تسجيل ملحوظات ولكن هذا لم يزعجني.

ظللت أحكي،

كل شيء، كل شيء.

عن آدم وإيفا عن السحاب الكثيف وعن الرجل فوق القمر.

ولما انتهيت وقف وكيل النيابة.

وقال: أريد أن ألفت نظر السيد الشاهد إلى أنه لا يتخيل نتيجة شهادته المهمة. احتفظ وكيل النيابة لنفسه بحق رفع دعوى عن فساد المؤسسات وإخفاء جريمة السرقة.

قلت له وأنا انحنى انحناءة خفيفة:

لقد أقسمت على ألا أخفى شيئا.

عندها صرخ الخباز: إنه مذنب تجاه ابنى. فقط هو. وأصيب بنوبة قلبية وأُخْرِجَ خارج القاعة.

رفعت زوجته ذراعها محذرة لى قائلة: ألا تخشى! ألا تخشى الرب؟!

لا، فأنا لم أعد أخش الرب.

استشعرت الاشمئزاز والتقزز الذى حام حولى ولكن كانت هناك عينان لم تكرهانى.

كانتا مستريحتين.

حل الصمت كما فى البحيرات المظلمة فى بلدى.

إيفا، هل أنت الخريف؟

الخروج من الجنة

لم يحضر أحد للدفاع عن إيفا.

سألها الرئيس رافعا البوصلة فى يده: هل تعرفين هذا الشىء؟

أجابت: نعم، هذا الشىء يدل على الاتجاه.

أتعلمين لمن هى؟

ليست لى. ولكن من الممكن أن أفكر.

لا تخادعى.

أنا لا أخادع. أنا أريد أن أقول الحقيقة تماما كما قالها المدرس.

مثلى؟

ابتسم وكيل النيابة بتهكم.

ولم ينزل المحامى عينه عنها.

قال لها الرئيس: أكملى!

وبدأت إيفا قائلة: لما قابلت "ز" بجوار كهفنا أتى "ن".

وظللت هناك؟

نعم.

ولماذا لم تقولى هذا قبل الآن؟ لماذا أنكرت فى التحقيقات أنك كنت هناك، عندما ضرب "ز"، "ن"؟

لأن "ز" لم يضرب "ن".

ليس "ز" ؟ من إذا؟

زاد التوتر. كل من فى القاعة التفوا حول الفتاة ولم تختف بينهم.

وحكت إيفا: تشاجر "ز" مع "ن" شجارا عنيفا وكان "ن" أقوى من "ز" فألقاه على الصخرة. ظننت أنه مات وثرت وفكرت أنه قد يعرف المذكرات ويعرف كل شىء عنى. أخذت حجرا، هذا الذى على المنصة، ومشيت خلف "ن" ولقد أردت أن أضربه بالحجر على رأسه. نعم. لقد أردت هذا. ولكن فجأة ظهر شاب غريب من الأدغال خطف الحجر من يدى وأسرع ناحية "ن". ورأيت كيف أدرك "ن" وتحدث معه. كان هذا فى بقعة جرداء وكان الحجر لا يزال فى يده. واختفيت لأنى خشيت أن يعودا. لكنهما لم يعودا فقد خطيا خطوات فى اتجاه آخر وكان "ن" يسبق بخطوات. وفجأة رفع الشاب الغريب الحجر وقذفه على رأس "ن" من الخلف. سقط ولم يتحرك. انحنى عليه الشاب الغريب وراقبه ثم جره إلى حفرة. ولم يدر أننى رأيت كل شىء. عدت ثانية إلى الصخرة وقابلت "ز" عندها. لم تؤثر

السقطة عليه، كل ما أصابه فقط أن انقطعت سترته وتخربشت يداه.عندها وجد المحامى ما يقوله فقال: أطالب بإسقاط التهمة عن المتهم.

قاطعه الرئيس قائلا: لحظة يا دكتور. ووجه الخطاب إلى "ز" الذى كان ينظر إلى إيفا بذهول ودهشة.

هل ما قالته صحيح؟

أومأ "ز" أى نعم.

هل رأيت أنت أيضا الشاب الغريب وهو ويضرب "ن" ؟

لا. لم أر هذا.

تنفس وكيل النيابة براحة وقال هكذا ثم اسند ظهره منبسطا.

قالت إيفا: إنه رآنى وأنا أرفع الحجر وأجرى خلف "ن".

قال المحامى بنبرة تأكيد: ولكنك أنت من ضربه.

لم تخرج إيفا عن هدوئها بل ضحكت وقالت: لم أكن أنا.

قال الرئيس: سنعود إلى هذا فيما بعد. كل ما أريد أن أعرفه الآن هو لماذا سكتما طوال هذه الفترة إن لم تكونا مذنبين؟

سكتا.

وبدأت الفتاة مرة أخري: لقد حمل "ز" هذا نفسه؛ لأنه كان يظن أنني من ضربت "ن". ولم يرد أن يصدقنى فى أن من فعل هذا شخص آخر.

ويجب علينا أن نصدقك؟

فضحكت مرة أخرى.

وقالت: لا أدرى ولكن هذا ما حدث.

وكنت تنتظرين أن يبرأ فى هدوء؟

ليس فى هدوء. لقد بكيت كثيرا ولكنى كنت خائفة من الإصلاحية والآن اعترفت بأنه ليس القاتل.

لماذا الآن وليس قبل ذلك؟

لأن المدرس اعترف وقال الحقيقة.

فصرخ وكيل النيابة: رائع!

وسألها القاضي: وإن لم يكن المدرس قد قال الحقيقة؟

عندها كنت سأسكت.

قال المحامي: أظن أنك تحبين "ز". هذا ليس هو الحب الحقيقى.

ضحك الناس.

نظرت إيفا إلى المحامى.

لا، وأكملت فى هدوء أنا لا أحبه.

قال "ز" بصوت مرتفع: أنا أيضا لم أحبها. قالت شيئا بصوت مرتفع وطأطأت رأسها.

جلس "ز" فى بطءٍ مرة أخرى ونظر فى يده اليمنى.

كان يريد أن يحاكم مكانها ولكنها لم تحبه.

كان هذا ما حدث.

فيم يفكر "ز" الآن؟

هل يفكر فى مستقبله الذى كان يحلم به؟

أم يكون مخترعا أو طيارا؟

كان هذا ما حدث.

وسيكره إيفا سريعا.

استمر الرئيس فى استجواب إيفا: إذا فقد تتبعت "ن" بهذا الحجر؟

نعم.

وكنت تريدين ضربه؟

ولكنى لم أفعل.

من إذا؟

لقد قلت هذا. لقد أتى شاب غريب دفعنى إلى الأرض وتتبع "ن" والحجر فى يده.

كيف كان يبدو هذا الشاب؟

لقد حدث كل شيء بسرعة. أنا لا أعرف.

قال وكيل النيابة: آه. الشخص غير المعروف.

سألها القاضى فى غير هدوء: هل يمكنك التعرف عليه؟

من المحتمل. كل ما أتذكره أن له عينين دائريتين. مثل عين السمكة.

كان لهذه الكلمة وقع الصدمة علىَّ.

انتفضت واقفا وصرخت: سمكة؟

سألنى الرئيس مستغربا: ماذا بك؟ وتعجب الجميع.

نعم، ما الذى ألم بى؟

كنت أنظر فى رأس ميت مزينة بالأنوار.

سمعت (يوليوس قيصر) يقول: سيأتى زمان بارد، زمان السمك. فى هذا الزمان لن تتحرك روح الإنسان تماما مثل أعين السمك.

نظرت إلى عينين غير لامعتين وبلا بريق.

إنه "ت".

يقف على القبر المفتوح.

ويقف فى المعسكر ويضحك بسخرية.

هل كان يعلم أنى فتحت الصندوق؟

هل كان يعلم شيئا عن كشكول المذكرات؟

هل كان يتجسس؟

هل تسلل خلف كل من "ز" و"ن"؟

إنه يبتسم ابتسامة جامدة.

لم أتحرك.

وسألنى الرئيس مرة أخري: ماذا بك؟

هل أقول له إننى أفكر فى "ت" ؟

ليس معقولا.

لماذا يضرب "ت" "ن" ؟

ليس هناك دافع لهذا.

وقلت: المعذرة، سيدى الرئيس، فأنا عصبى بعض الشىء.

قال وكيل النيابة: مفهوم.

غادرت القاعة.

أنا أعرف أنهم سيبرئون "ز" وسيحكمون على الفتاة وأعلم أيضا أن كل شىء سينتظم. وستّجرى التحقيقات معى غدا أو بعد غد بسبب تضليل العدالة والتستر على جريمة القتل. وسأوقف عن العمل فى التدريس.

سأفقد لقمة عيشى.

ولكن هذا لا يؤلمنى.

أنا لا أهتم بهذا.

تذكرت البار الذى قابلت فيه يوليوس قيصر.

إنه ليس بارا غاليا.

ولكنى لن أشرب حتى السكر.

ذهبت إلى المنزل ونمت.

لم أعد أخاف من غرفتي.

هل يقيم معي الآن؟

لم يبتلع الطعم

ما توقعته موجود فى الجريدة الصباحية!

سوف يحكم على "ز" بالحبس بتهمة تضليل العدالة والتستر على جزيمة السرقة حكما مخففا بالحبس. ورفع وكيل النيابة دعوى بجريمة القتل ضد الفتاة.

وستقدم القضية الجديدة للمحكمة بعد ثلاثة أشهر. وسجل كاتب المحكمة أن ذاك المخلوق الفاسد أكد براءتها بكل قوة ولم يكن هناك أحد من الحاضرين يصدق ما كانت تقوله صارخة؛ لأن من يكذب مرة يكذب الثانية. حتى المتهم "ز" لم يعطها يده فى نهاية الجلسة عندما انتزعت نفسها من حارسها ومالت إليه مادة يدها طالبة منه أن يغفر لها أنها لم تحبه قط.

لقد كرهها.

كانت وحيدة تماما.

هل لا تزال تصرخ؟

لا تصرخى ثانية، أنا أصدقك.

فقط انتظري! سأصيد السمكة.

ولكن كيف؟

يجب علي أن أتكلم معه، حالا.

وصلنى خطاب فى بريد الصباح من الشئون الإدارية مكتوب فيه: أنه لا يمكننى الذهاب إلى المدرسة طوال فترة التحقيق.

أنا أعلم أنى لن أدخلها أبدا لأنه سيحكم علىَّ بأحكام غير مخففة.

هذا لم يعد يهمنى الآن.

إذ يجب علىَّ أن أصطاد السمكة حتى لا أسمعها تصرخ مرة أخرى.

قدمت الخادمة الإفطار لى وكانت خائفة. كانت قد قرأت شهادتى فى الجريدة وعصفت الريح فى الغابة. وكتب زملائي: المدرس مساعد اللصوص. حتى أن أحدهم كتب أننى قاتل.

ولم يقف أحد فى صفى.

أوقات طيبة للخباز "ن" طالما أن الشيطان لم يأخذه الليلة.

وقفت عند الظهر قريبا من المدرسة التى لا يمكننى أن أدخلها وانتظرت موعد الانصراف. أخيرا خرج التلاميذ من المدرسة.

وكذلك بعض الزملاء.

لم يرنى أحد.

وخرج "ت" من المدرسة.

كان وحده وانعطف ناحية اليمين.

رآنى ودهش للحظة.

ثم حيانى وابتسم.

قلت له: جميل أننى قابلتك؛ لأنى كنت أريد أن أتحدث معك عن بعض الأمور.

قال وهو يجيبنى بأدب: تفضل.

ولكن لا يمكننا الحديث فى الشارع فهناك ضوضاء كثيرة. تعال معى إلى محل حلوى، فأنا أدعوك على آيس كريم.

أه، شكرا.

جلسنا فى محل الحلويات.

طلب السمكة لنفسه آيس كريم بالتوت والليمون.

وتناول منه بالملعقة.

اكتشفت أنه يبتسم حتى وهو يأكل.

وفجأة باغته بقولي: يجب أن أتحدث معك عن جريمة القتل.

وظل يأكل فى هدوء.

هل يعجبك الطعم؟

نعم.

وصمتنا.

بدأت الكلام مرة أخرى وقلت: أخبرني! هل تعتقد أن الفتاة هى من ضربت "ن" ؟

نعم.

ألا تعتقد أن شخصا غريبا هو الذى فعل ذلك؟

لا. لقد اخترعت هذا حتى تجد لنفسها مخرجا.

وسكتنا مرة أخرى.

وتوقف عن الأكل ونظر إلىَّ فى شك وسألني: ما الذى تريده منى بالضبط، أيها المدرس؟

قلت له فى بطء وأنا أنظر فى عينيه الدائريتين: لقد ظننت أنه يمكنك أن تخمن من يكون هذا الغريب.

كيف؟

غامرت بهذا وقلت كاذبا: لأنى أعرف أنك تتلصص دائما.

قال في هدوء: نعم. فقد لاحظت أشياء كثيرة.

وابتسم مرة أخرى.

هل كان يعلم أنني فتحت الصندوق؟

وسألته: هل قرأتَ كشكول المذكرات؟

شخص إليَّ نظره وقال: لا، ولكنى رأيتك، سيدى، وأنت تتسلل لترى"ز" والفتاة.

كان الجو باردا وكان هو يراقبنى.

كنتَ أمامِي وكنتُ خلفك، وكنتَ ترتجف رعبا ولكنى لم أخف، سيدى المدرس.

وتناول الآيس كريم مرة أخرى في هدوء.

ولاحظت أنه لم يلحظ ارتباكى وحيرتى؛ لأنه كان ينظر إليَّ علي فترات وكأنه يسجل شيئا.

شيء غريب لقد تذكرت صيادا.

صياد يمكنه أن يحدد هدفه بهدوء ويطلق سهمه عندما يتأكد من أنه سيصيب الهدف.

صياد لا يستشعر الرغبة في هذا.

ولكن لماذا يصطاد إذا؟

لماذا، لماذا؟

هل كنت منسجما مع "ن" ؟

نعم. لقد كانت علاقتنا طيبة.

كنت أريد أن أسأله ولماذا ضربته إذا؟ لماذا؟ لماذا ؟

قال لي فجأة: إنك تسألني، سيدي المدرس، كما لو كنت أنا الشخص الغريب. مع أنك تعرف أنه لا أحد يعرف من هو؛ لأنه ليس له وجود. حتى أن الفتاة لا تعرف عنه إلا أن له عينين مثل عيني السمكة.

وفكرت وقلت له: وأنت؟

وأنا. أنا، أيها المدرس، عينيَّ ليستا كعيني السمك. ولكنهما لامعتان ومثل عيون الغزال. قالت لي أمي هذا وكذلك الجميع. ولكن إن عينيك تبدوان مثل عيني السمكة.

أنا؟

ألا تعلم، سيدي المدرس، الاسم الذي أطلقه عليك التلاميذ في المدرسة؟ ألم تسمعه من قبل؟ إنهم يسمونك السمكة.

وأحنى رأسه ضاحكا.

نعم، سيدى؛ لأنك لا تحرك وجهك. لا يعرف أحد فيما تفكر أو إذا كان هناك ما يشغل بالك على الإطلاق.

نحن كنا نقول إن المدرس يراقب كل شيء حتى ولو كان على سبيل المثال شخصا يريد أن يعبر الشارع، فيراقب هذا الشخص ليرى.

وتوقف فجأة كأنه قال مالا ينبغى، ونظر إلىَّ نظرة خائفة للحظة قصيرة.

لماذا؟

لقد خرجت الكلمة من فمك. ألم تفكر فى هذا!

لقد أردت أن تأكل الطعم ولكنك رأيت السنارة وعدت إلى البحر مرة أخرى.

انتظر! أريد أن أصيدك.

وقف وقال: يجب أن أذهب إلى البيت فهذا وقت الطعام ولو وصلت متأخرا فسأتعرض للوم. وشكرنى على الآيس كريم وانصرف.

نظرت إليه وسمعت الفتاة تصرخ.

الرايات

لما استيقظت صباح اليوم التالى تذكرت أنى قد رأيت أحلاما كثيرة ولكنى لم أعد أتذكر أى شىء منها.

كان يوم احتفال.

كان يوم عيد العامة.

زينت المدينة بالأعلام والرايات.

مشت الفتيات اللاتى كن يبحثن عن الطيار الضائع فى طابور فى المدينة وكذلك كل الشباب الذين قتلوا السود وكذلك الآباء الذين يصدقون الأكاذيب والذين لا يصدقونها.

فرق عسكرية فى ألوان مختلفة تسير فى خطوة واحدة تحت إمرة البلهاء.

كانوا يغنون أغنية الطائر الذى يغرد فوق مقابر الأبطال والجندى الذى خنقه الغاز. الفتيات اللاتى يأكلن الزبالة الموجودة فى البيت والعدو الذى ليس له وجود.

ظلوا طوال اليوم يمدحون البلهاء والكذابين الذين ولدوا فى يوم العامة.

وكما فكرت تأكد لى أن هناك راية ترفرف من شباك غرفتى. كنت علقتها مساء أمس.

من يتعامل مع المجرمين والبلهاء يجب عليه أن يتصرف كمجرم وأبله و إلا وجب عليه أن يتوقف كليا.

يجب عليه أن يزين بيته بالأعلام حتى وإن لم يكن له بيت.

لم يعد هناك صبر لتحمل من له رأى أو شخصية بل يجب على الجميع أن يتبعوا وأن يكونوا تابعين وهكذا تذهب الحقيقة ويحل محلها الكذب .

الكذب أبو كل الخطايا.

فلتنزع الرايات.

أكل الخبز أهون من الموت!

فكرت فى هذا لما سألت نفسي: فيم أفكر؟ هل نسيت أنك موقوف عن العمل؟ إنك لم تحلف يمينا كاذبة عندما قلت إنك من فتح الصندوق. علق الراية فى الشباك وبايع العامة وازحف على التراب أمام الزبالة واكذب. ماذا بقى غير ذلك! لقد فقدت لقمة عيشك!

لا تنس أنك قد تحدثت مع سيد عظيم! إنك تقيم فى نفس البيت ولكن فى دور عال.

وعلى صعيد آخر فإنك لن تلاحظ أن حجرتك أصبحت أصغر! حتى الأثاث: الدولاب والمرآة. إنك ما زلت تستطيع أن تنظر فى المرآة، إنها مازالت مناسبة الحجم. إنك إنسان وتريد أن ترى إن كانت الكرافتة مربوطة جيدا، ولكن اخرج وانظر مرة إلى خارج النافذة.!

كيف بَعُدَ كل شىء؟ كيف صغرت كل المبانى الكبيرة فجأة؟ وكيف أصبح أغنياء العامة فقراء؟ هذا مثير للضحك!

كيف بهتت ألوان الأعلام والرايات؟

هل تستطيع أن تقرأ اللافتات؟

هل ما زلت تسمع الراديو (المذياع) نادرا؟

لا.

يجب على الفتاة أن لا تصرخ هكذا،

بل يجب أن تصرخ بصوت أعلي!

لم تعد تصرخ.

إنها فقط تبكى بصوت خفيض.

ولكن بكاءها يغطى كل شيء.

واحد من خمسة

كنت أغسل أسنانى لما ظهرت خادمتى أمامى.

قالت لي: هناك تلميذ فى الخارج يريد أن يتحدث معك.

قلت لها: دقيقة واحدة.

وانصرفت الخادمة ولبست روبى.

وتساءلت: تلميذ؟ ما الذى يريده؟

إنه يفكر فى"ت".

لقد حصلت على هذا الروب فى عيد ميلادى هدية من والدىَّ وقالا لى إننى لا أستطيع أن أعيش بدون هذا الروب.

إن لونه أخضر مع خليط من الأحمر

ليس لوالدىَّ ذوق فى اختيار الألوان.

سمعت طرقا على الباب.

تفضل!

دخل التلميذ وأحنى رأسه محييا.

لم أتعرف عليه للوهلة الأولى. صحيح إنه واحد ممن تبدأ أسماؤهم بحرف "ب". ولكنى لم أتذكره جيدا. كيف تأتى له ألا يكون مشتركا فى المسيرة فى الخارج؟

لقد أقلقنى بشدة بسبب كلام فى موضوع البوصلة.

البوصلة؟

نعم، فقد قرأت فى الجريدة أنه قد وُجِدَت بوصلةٌ عند "ن" ولا أحد يدرى لمن هى

ثم؟

أنا أعلم ممن فقدت هذه البوصلة.

من؟"ت"

صدمتنى هذه الإجابة وتساءلت "ت"؟!

هل لا زلت تعوم هنا؟

وظهرت رأسه من الماء. هل ترى الشبكة؟

إنه يعوم ويعوم.

وسألت "ب" وأنا أكاد أصرخ: أنَّى لك أن تعرف أن البوصلة تخص"ت"؟

لأنه كان يبحث عنها فى كل مكان. لقد كنت أنام معه فى نفس الخيمة.

ألا تريد أن تقول بهذا أن لـــ"**ت**" علاقة ولو بأى شكل من الأشكال بجريمة القتل؟

صمت، ونظر جانبا.

أتتوقع أن يكون "**ت**" هو من قام بالجريمة؟

نظر إلى مستغربا وقال: أنا أتوقع من كل واحد أى شيء ولكن ليس القتل.

ولماذا لا؟

ابتسم وقال: لا. لم يقلها بتهكم ولكن بحزن.

ولكن لماذا يقتل "ز" "**ن**"؟ لماذا؟ لا يوجد دافع لهذا؟

دائما ما كان "**ت**" يقول إن "**ن**" شديد الغباء.

ولكن هذا لا يعتبر دافعا.

نعم. ولكن هل تعلم، سيدى المدرس أن "**ت**" إنسان شغوف بالعلم لدرجة مخيفة، فهو يريد دائما أن يعلم كيف تكون جميع الأشياء فى الحقيقة. لقد قال لى مرة إنه يريد أن يرى كيف يموت الإنسان.

ماذا؟

نعم. لقد أراد أن يرى هذا بعينيه وكان يحلم ويتخيل. وكان يريد أن يرى طفلا وهو يولد.

ذهبت إلى النافذة لأنى شعرت أننى لا أستطيع التحدث الآن فى الشوارع.

كان الآباء والأبناء لا يزالون يشتركون فى المسيرة.

وتذكرت فجأة أن "ب" كان لا يزال عندى.

وسألته: لماذا لا تشترك فى الطابور، هذا واجب عليك!

قال لقد قدمت شهادة مرضية.

وتقابلت أنظارنا. أنا لن أفشى سرك؟

وقلت له: أنا لا أصدقك.

وأجابني: وأنا أعرف هذا.

وفكرت فى نفسي: وماذا تعرف غير هذا؟

لم أعد أحب الاشتراك فى المسيرات ولم أعد أستطيع أن أتلقى الأوامر، فكل من هم أكبر منى بسنتين يصرخون فِيَّ ودائما ما نسمع الكلام المكرر الممل. إن الأمر كله غباء شديد.

ضحكت.

أرجو أن تكون أنت الوحيد فى الفصل الذى يفكر بهذه الطريقة.

لا، بل نحن أربعة.

أربعة؟ حقا؟

ومنذ متى؟

هل تتذكر سيدى المدرس عندما كنت تتحدث عن السود فى أول العام قبل أن نذهب إلى المعسكر؟

لقد وقعنا كلنا فى ذاك الوقت ورقة نقول فيها إننا لا نريدك أن تدرس لنا ثانية. ولكن تم هذا بإكراهنا، لأنك كنت على حق فيما يتعلق بالسود. ووجدت ثلاثة آخرين يفكرون بنفس الطريقة.

ومن هم هؤلاء الثلاثة؟

لا يمكننى أن أذكر أسماءهم؛ فاللائحة تمنعنى أن أتكلم عن هذا.

نعم، فقد أسسنا ناديا وقد انضم إلينا اثنان آخران ولكنهما ليسا تلميذين.

أحدهما صبىٌّ خباز والثانى ساع.

ناد؟

نحن نجتمع أسبوعيا ونقرأ ما هو ممنوع.

كما كان يوليوس قيصر يقول؟

إنهم يقرءون كل شيء ولكن فقط ليسخروا.

ونموذجهم السخرية. لقد أتت الأوقات الباردة.

وسألت "ب" : هل تجتمعون في ناديكم تسخرون من كل شيء؟

لا، فالسخرية ممنوعة طبقا للفقرة الثالثة. هناك بالتأكيد من هم مثيرون للتهكم والسخرية مثل "ت"، ولكننا لسنا كذلك، فنحن نجتمع ونتناقش في كل ما نقرأه.

ثم؟

نتحدث عما يجب أن يكون عليه العالم.

وكنت أصغي إليه.

عما يجب أن يكون عليه العالم؟

نظرت إلى "ب" وتذكرت "ز" وهو يقول للرئيس: إن المدرس يتكلم فقط عما يجب أن يكون عليه العالم وليس عما هو عليه فعلا.

ورأيت "ت"

ما الذى قالته إيفا فى المحكمة؟

سقط "ن" وانحنى الشاب الغريب عليه ونظر إليه، ثم جره إلى حفرة.

ما الذى قاله "ب" قبل قليل؟

إن "ت" يريد دائما أن يعرف كيف يحدث هذا فى الحقيقة. لماذا؟

هل ليسخر من كل شيء؟

نعم، فقد أتت الأزمان الباردة.

وسمعت صوت "ب" مرة أخرى يقول: أنا سأتحدث معك، سيدى المدرس وأنا مطمئن، وسأتكلم معك عن كل ما يثير الشك فى نفسى؛ حتى أتشاور معك وأعرف كيف يجب علىَّ أن أتصرف.

ولماذا معى؟

قلنا جميعا أمس فى النادى بعد أن قرأنا شهادتك فى الجريدة بخصوص الصندوق إنك أنت الشخص الوحيد البالغ الذى نعرف عنه أنه يحب الحقيقة.

النادى يشترك

ذهبت فى اليوم التالى إلى قاضى التحقيقات المختص مع "ب" فقد كان مكتبه مغلقا أمس بسبب الاحتفال بيوم الدولة.

قلت لقاضى التحقيقات: إن "ب" يعرف صاحب البوصلة المفقودة.

ولكنه قاطعنى فى أدب وقال: إن موضوع هذه البوصلة قد اتضح. فقد ظهر أن هذه البوصلة قد فقدت من عمدة القرية القريبة من المكان الذى كان فيه المعسكر، ومن المحتمل أن تكون قد فقدت منه منذ فترة قبل وجوده فى مكان الحادث؛ إذ إنَّ مكان الجريمة قريب من مخابئ اللصوص ولم يعد للبوصلة دور آخر تلعبه.

استأذنت منصرفا، وظهرت خيبة الأمل على وجه "ب".

وفكرت قائلا: هل لم يعد للبوصلة أهمية؟ بدون هذه البوصلة لم يكن "ب" ليأتى إلىَّ.

وخيل لى أنى لم أعد أستطيع التفكير كما كنت أفكر من قبل.

وما زلت أنتظر القرائن والعلاقات.

لم يعد لأى شىء أى قيمة.

شعرت بأن القانون غير عادل.

وقابلنا المحامى على السلم.

وحيانى بشدة.

وقال لى إنه كان يريد أن يشكرنى رسميا لأنه من خلال شهادتى الصريحة والجسورة أمكنه أن يوضح المأساة ويحلها.

وقال لى باختصار إن "ز" قد شفى تماما من حُبِّه وأصيبت الفتاة بتشنج هستيرى وأدخلت مستشفى السجن. وأضاف مسرعا: يا لها من مسكينة؛ ليشرح المأساة الجديدة.

نظرت إليه.

وسمعت صوت "ب" يقول: يؤسفنى ما يحدث للفتاة.

وأنا أيضا.

ونزلنا السلم.

وقال "ب" : يجب علينا أن نساعدها.

قلت: نعم. وفكرت فى عينيها.

وكذلك فى البحيرة الهادئة فى الغابة القريبة من منزلى. إنها فى المستشفى. وكانت السحب تتجمع سائرة نحوها، وكان للسحب دائر فضى.

ألم تحرك رأسها قبل أن تقول الحقيقة؟

وما الذى قاله "ت" ؟ قال إنها القاتلة وإنها تكذب حتى يمكنها النجاة.

أنا أكره"ت".

وتوقفت فجأة وسألت "ب": هل صحيح أنكم تسموننى السمكة؟

لا، هذا ما يقوله "ت" وحده. إنك تشبه آخرين.

من؟

إنهم السود.

ضحك وضحكت معه.

وواصلنا نزول السلم.

وفجأة بدا جادًا.

وقال: سيدى المدرس، ألا تعتقد أن "ت" هو الفاعل حتى وإن لم تكن البوصلة التى عثر عليها تخصه؟

توقفت مرة أخرى.

ما الذى يجب علىَّ أن أقوله؟

هل يجب علىَّ أن أقول: إن هذا من الممكن أو محتمل؟

وقلت: نعم. أنا أعتقد أنه هو من فعلها.

وبرقت عينا "ب".

وقال متحمسا: نعم هو. وسنصيده.

نرجو هذا.

سأستصدر قرارا من النادى بأن نساعد الفتاة، فطبقا للفقرة السابعة فنحن لسنا مطالبين فقط بقراءة الكتب ولكن أيضا باتباع الأفكار التى فيها.

وسألته ما هو مبدؤكم؟

من أجل الحق والعدل.

ولكن هذه القضية خارج نشاطكم.

قال: سيراقب النادى "ت" فى كل تحركاته ليلا ونهارا وسيقدم لى تقريرا يوميا.

قلت: جميل وضحكت.

فى طفولتى كنت ألعب أيضا عسكر وحرامية.

ولكن الغابة مختلفة الآن.

إن الحياة تعيد نفسها مرة أخرى.

خطابان

فى صباح اليوم التالى استلمت خطابا مفزعا من والدىَّ، فقد هالهم أنى فقدت وظيفتى. هل لم أفكر فيهما عندما حكيت كل شىء عن الصندوق؟ ولماذا قصصت كل شىء أصلا؟

نعم، لقد فكرت فيكما.

اهدءا، فلن نموت جوعا.

وكتبت أمى إلىَّ: إننا لم نستطع النوم طوال الليل، فقد كنا نفكر فيك.

هكذا؟

وتساءل والدىَّ: ماذا فعلنا حتى يحدث لنا كل هذا؟ إنه رئيس قسم العمال ومحال على المعاش.

وفكرت فى الرب.

وأظن أنه لم يكن معهم على الرغم من أنهما كانا يذهبان إلى الكنيسة.

جلست وبدأت الكتابة لوالدىَّ:

والدىَّ العزيزين لا تحملا هما، فالرب سيساعدنا.

توقفت وتساءلت: لماذا؟

إنهما يعلمان أنى لم أكن أؤمن بالرب وسيقولان الآن: انظر، إنه يكتب عن الرب؛ لأن أموره تسير بشكل سيئ.

ولكن لا ينبغى لأحد أن يفكر هكذا.

لا، إننى أستحى من نفسى.

ومزقت الخطاب.

نعم، وكنت ما زلت فخورا.

وأردت أن أكتب طوال اليوم إلى والدىَّ.

ولكنى لم أفعل.

حاولت مرارا أن أبدأ ولكن لم تواتينى الشجاعة أن أكتب كلمة الرب.

جاء الليل وحل بى الخوف من شقتى مرة أخرى.

إنها فارغة.

وقلت لنفسي: فلأخرج.

هل إلى السينما؟

لا.

وذهبت إلى البار الذى ليس غاليا.

قابلت هناك " يوليوس قيصر" ، فقد كان مكانه الرئيسى.

وقد أسعدته رؤيتى كثيرا.

وقال: لقد كان إخلاصا منك ونزاهة أن تروى كل شىء عن الصندوق. وأظهر لى احترامه بسبب هذا الموضوع.

وشربنا وتحدثنا عن القضية.

وحكيت له عن السمكة.

أنصت إلىَّ باهتمام.

وقال: بالتأكيد فإن السمكة هو من فعل هذا. وضحك. وإن أردتنى أن أساعدك فى اصطياده فأنا تحت أمرك، فلىَّ طرقى الخاصة بالصيد.

نعم، فقد كانت له طرقه فى الصيد.

وكثيرا ما كان ينقطع الحوار بيننا، فقد لاحظت أن كثيرين يحيون "يوليوس قيصر" باهتمام وأن كثيرين يستشيرونه؛ لأنه حكيم وعالم.

كل هؤلاء نبت ضار.

واستيقظت فِيَّ فجأة الرغبة فى رؤية الفساد. ووددت لو كان مشبك الكرافتة على شكل رأس إنسان ميت.

نادانى قيصر قائلا: خذ بالك من خطابك، فقد سقط من على المنضدة.

نعم. الخطاب!

وشرح قيصر لفتاة موجودة الفقرات الجديدة فى القانون الخاص بالأخلاقيات العامة.

وكنت أفكر فى إيفا.

كيف ستبدو إذا أصبحت عجوزا فى مثل سن هذه المرأة؟

من سيساعدها؟

جلست إلى طاولة أخرى وبدأت الكتابة إلى والدىَّ.

"لا تحملا هما، فالرب سيساعدنا" ولم أمزق الورقة مرة أخرى.

أم ترانى كتبت هذا لأنى كنت فقط سكرانا؟

الأمر سيان عندى.

الخريف

فى اليوم التالى أعطتنى الخادمة مظروفا قد سلمه لها أحد السعاة.

كان لون المظروف أزرق. فتحته وضحكت.

كان عنوان الخطاب

"التقرير الأول من النادى"

ثم بعده.

لم يلاحظ شىء غريب.

نعم، نعم. النادى! إنه يكافح من أجل الحق والعدالة ولم يلحظ شيئا غريبا!

حتى أنا لم ألحظ شيئا.

ما الذى يجب علينا أن نفعله حتى لا يحكم عليها؟

كنت أفكر فيها دائما.

هل أحب هذه الفتاة؟

لا أدرى.

كل ما أعلمه فقط هو أنى أريد أن أساعدها.

عرفت نساء كثيرات، لأنى لست قديسا ولا النساء أيضا.

ولكنى أحببت واحدة أخرى.

هل ما زلت شابا؟

هل هذه هى الشيخوخة؟

هراء، إننى مازلت شابا.

وظللت أتلقى كل يوم خطابا: التقرير الثانى من النادى ثم الثالث ثم الرابع.

لم يلحظ أى شىء.

طاب الصباح وفى المساء يحل الضباب.

وعادت الحيوانات إلى أماكنها وتجردت الحقول.

نعم، فلا يزال الصيف ولكن قرب موعد سقوط الثلج.

كنت أريد أن أساعدها حتى لا تصرخ.

كنت أريد أن أشترى لها معطفا وحذاء وملابس داخلية.

لا يجب عليها أن تنزع ملابسها أمامى.

كل ما كنت أريد أن أعرفه هو هل سيستطيع الثلج أن يتساقط؟

كان كل شيء لا يزال أخضر اللون.

ولم يكن عليها أن تظل معي.

إذا ما سارت كل أمورها بشكل طيب.

زيارة

تلقيت زيارة قبل ظهر اليوم، لم أعرف الزائر للوهلة الأولى. كان القس الذى تحدثت معه عن النماذج الإنسانية.

دخل وكان يرتدى ملابس مدنية عبارة عن بنطلون لونه أخضر غامق، وسترة زرقاء. هل هرب؟

ضحك وقال: إنك تستغرب من أنى أرتدى ملابس مدنية، ولكنى غالبا ما أرتدى مثل هذه الملابس. وأنا هنا لمهمة محددة. باختصار قد انقضت فترة عقوبتى. ولقد كنت دائم التحدث عنك. قرأت اعترافكم الشجاع فى الجرائد وكان يجب علىَّ أن أظهر مبكرا عن هذا إلا أنى كان يَجِب علىَّ أن أحصل على عنوانك. وألاحظ أنك قد تغيرت، ولا أدرى ما هو التغير تماما. ولكن هناك شىء ما قد تغير فيك. فأنت تبدو أكثر صفاء وبهجة.

صفاء وبهجة؟

نعم، ويجب أن تسعدك شهادتك بخصوص الصندوق حتى وإن اتهمك نصف العالم. لا أدرى لِمَ فكرت فيك؛ هل لأنك قلت لى وقتئذٍ إنك لا تؤمن بالربّ. وأظن أنك قد بدأت فى هذه الأثناء فى تغيير أفكارك عن الرب.

وفكرت فى نفسي: ما الذى يريده منى؟ ونظرت إليه بارتياب.

قال: أريد أن أخبرك عن شيء مهم ولكنى أريدك أن تجيبنى على سؤالين:

أولهما: هل تعلم بشكل واضح أنه بعد أن رفع وكيل النيابة قضية ضدك لا يمكنك أن تدرس فى أى مدرسة فى هذه الولاية بعد ذلك؟

نعم، كان هذا واضحا لى قبل أن أدلى بشهادتى.

هذا يسعدنى. والسؤال الثاني: كيف ستتكسب لقمة عيشك؟ أنا أفترض أنه ليس لديك ورشة لقطع الأخشاب، والتى كنت ستبذلها للعمال والأطفال فى الظلام. هل تتذكر هذا.

أه، نعم. الأطفال الذين يجلسون فى الظلام. لقد نسيت كل هذا كلية.

وورشة قطع الأخشاب التى لم تعد تقطع الخشب.

أين كل هذا الآن؟

إنه يبدو كما لو كان فى بلاد بعيدة.

وقلت: ليس لدى شيء ويجب علىَّ أن أرعى والدىَّ.

نظر إلىَّ وقال بعد فترة سكوت قصيرة:

عندى وظيفة لك.

ماذا؟ وظيفة؟

نعم، ولكنها في بلد آخر.

أين؟ فى إفريقيا.

فكرت فى نفسي: عند السود؟

وتخيلت أن اسمى (الأسود) وضحكت.

ظل جادا.

وقال: لماذا تجد هذا مضحكا؟ إن السود هم أيضا بشر!

وأردت أن أسأله: لمن تقول هذا؟ ولكنى لم أقل شيئا وظللت أسمع ما يقوله لى، قال: إننى يمكننى أن أكون مدرسا فى مدرسة تبشيرية.

وسألته: هل يجب أن أنتمى إلى جمعية دينية؟

ليس هذا ضروريا.

وفكرت أنى أؤمن اليوم بالرب ولكنى أعتقد أن البيض لا يمكنهم إسعاد السود؛ لأنهم يقدمون الرب فى صورة صفقات غير شريفة.

وقلت له هذا. ولكنه ظل على هدوئه.

وقلت له: إن الأمر يتعلق بك إذا أردت أن تسيء استخدام رسالتك لعمل صفقات غير شريفة.

رسالة؟

وقال: صحيح، فلكل إنسان رسالته.

يجب عليَّ أن أصطاد سمكة.

وقلت للقس إنني سأسافر إلى إفريقيا ولكن ليس قبل أن أحرر الفتاة.

وكان يصغى إليَّ.

وقال: إذا كنت تعلم أن الشاب الغريب هو من ارتكب الجريمة، فيجب عليك أن تقول هذا لأمه، إذ يجب عليها أن تسمعك.

اذهب لها حالا.

المحطة النهائية

سافرت لمقابلة والدة "ت".

كان بواب المدرسة قد أعطانى العنوان، ولكنه تصرف معى بتحفظ شديد ؛ لأنه لم يعد مسموحا لى أن أدخل المدرسة.

لن أدخلها مرة أخرى، سأسافر إلى إفريقيا.

ركبت الترام وكنت سأنزل المحطة الأخيرة.اختفت البيوت الجميلة واحد تلو الآخر، ومررنا على بيوت قبيحة، وسار الترام فى شوارع فقيرة، ثم وصلنا إلى حى الفيلات الفخمة.

ونادى المحصل : هنا آخر محطة، فلينزل الجميع.

وكنت أنا الراكب الوحيد فى الترام.

كان الهواء هناك أفضل منه عنه فى المنطقة التى أسكن فيها.

أين المنزل 23؟

كانت الحدائق منظمة جيدا ولا يوجد هناك متسكعون ولا فطر عش الغراب.

ووصلت أخيرا إلى المنزل رقم 23.

كانت بوابة البيت كبيرة جدا ولم أستطع رؤية المنزل؛ لأن حديقة البيت كانت واسعة جدا.

طرقت الباب وانتظرت.

ظهر البواب، كان رجلا عجوزا ولم يفتح البوابة.

سألني: ماذا تريد؟

أريد أن أتحدث مع السيدة "ت".

بأى خصوص؟

أنا مدرس ابنها.

أريد أن أقابلها حالا.

وفتح البوابة.

وسرت معه عابرا الحديقة.

ورأيت البيت من خلف شجرات الصنوبر.كان البيت يبدو كالقصر.

كان الخادم ينتظرنا وأسلمنى البواب إلى الخادم قائلا:

إن السيد يريد أن يتحدث مع السيدة.

إنه مدرس السيد الصغير.

وانحنى الخادم انحناءة خفيفة.

وقال بأدب: هناك بعض الصعوبة فى هذا؛

لأن السيدة عندها زيارة الآن.

ولكنى يجب أن أتحدث معها الآن فى موضوع مهم جدا.

هل يمكنك أن تؤجل هذا إلى الغد؟

لا، فالأمر يخص ابنها.

وابتسم وأشار بيده وقال:

إن السيدة لا يكون لديها وقت لابنها فى أحايين كثيرة.

حتى أن السيد الصغير يجب أن يحدد موعدا مسبقا إن أراد مقابلتها.

قلت له وأنا أنظر إليه عابسا:

إما أن تعلم السيدة الآن أنى أريد أن أقابلها، أو تتحمل أنت مسئولية عدم إبلاغها.

نظر إلىَّ فى دهشة لبرهة وانحنى انحناءة خفيفة وقال:

حسن، سنحاول مرة، هل تسمح لى أن أسبقك.

ودخلت المنزل.

دخلنا إلى صالة باهرة ثم صعدنا سلما إلى الطابق الأول.

نزلت سيدة السلم وابتسمت للخادم ولى أيضا.

وتساءلت: هل أعرفها؟ من هى؟

واستمررنا فى صعود السلم.

وقال لى الخادم إن هذه السيدة هى الممثلة "اكس".

نعم، صحيح.

أنا لم أرها لفترة ليست طويلة. كانت تقوم بدور عاملة المصنع التى تزوجت من مدير المصنع.

إنها صديقة قائد العامة.

مجازا وحقيقة!

قال لىَ الخادم مؤكدا إنها ممثلة ممتازة ووصلنا الدور الأول.

كان هناك باب مفتوح وسمعت سيدات يضحكن وفكرت فى أنهن ولابد أن يكن فى الحجرة الثالثة.

كن يشربن الشاى.

وقادنى الخادم إلى ناحية اليسار إلى صالون صغير وطلب منى أن أجلس وقال إنه سيحاول أن يطلب لى موعدا فى أقرب فرصة تسنح لَهَا.

أغلق الباب وظللت أنتظر وحيدا. كان الوقت بعد الظهر بقليل ولكن الأيام كانت تقصر.

كانت هناك صور" لأمرو وبيس" و"مارى أنطوانيت" معلقة على الحائط. كان الصالون روزى اللون ومذهبا.

جلست على كرسيً ونظرت إلى الكراسى الموضوعة حول المنضدة وتساءلت: كم عمرها؟ هل هو حوالى 200 سنة؟

ومن جلس عليها؟

هل هم أناس مثل الذين يقولون: سنشرب الشاى غدا مع " مارى أنطوانيت"؟

أم أناس مثل الذين يقولون: سنذهب غدا لرؤية شنق مارى أنطوانيت؟

ثم تساءلت: أين إيفا الآن؟

رجوت أن تكون لا تزال فى المستشفى، فهناك يتوفر لها سرير على الأقل.

ورجوت أن تكون لا تزال مريضة.

ذهبت إلى الشباك ونظرت إلى الخارج.

كان لون شجيرات الصبار الغامق يزداد؛ إذ كان المساء يحل.

وانتظرت.

وفجأة انفتح الباب بهدوء.

والتفت وكنت أتوقع أن تكون والدة "ت".

كيف تبدو؟

وأُخِذتُ.

فلم يكن من يقف أمامى والدة "ت" ولكن "ت" نفسه.

حيانى بأدب وقال: لقد أرسلتنى لى أمى من ينادينى لما علمت أنك هنا، فليس لديها وقت، يا سيدى.

هكذا؟ ومتى يكون لديها الوقت؟

هز كتفيه وقال: لا أدرى، فليس لديها وقت أبدا.

نظرت إلى السمكة متفحصا.

ليس عند أمه وقت.

ما الذى تفعله إذا؟

إنها تفكر فى نفسها فقط.

وفكرت فى القس وفى المثل العليا للبشرية.

هل صحيح أن الأغنياء هم دائما الفائزون؟

ألا يمكن أن تتحول الخمر يوما إلى ماء؟

وقلت لـــ "ت" : إذا كان عند أمك دائما ما يشغلها فمن الممكن أن أتحدث مع أبيك.

أبي؟ ولكنه لا يكاد يكون فى البيت إنه دائما على سفر،

وأنا لا أكاد أراه، فهو يقود فرقة موسيقية.

فرقة موسيقية؟

ورأيت مصنع قطع الأخشاب الذى لم يعد يعمل.

والأطفال الذين يجلسون فى الشبابيك ويلونون العرائس ليوفروا الكهرباء، لأنه ليس لديهم كهرباء.

والرب لا يمر فى كل الحوارى ويرى مصنعا لقطع الأخشاب.

سوف يأتى.

ووقف فى الخارج أمام البوابة الكبيرة العالية.

ولم يسمح له البواب العجوز بالدخول.

وسأله: ما الذى تريده؟

أريد أن أتحدث مع والدىّ "ت".

بأى خصوص؟

إنهما يعرفان.

نعم، إنهما يعرفان ولكنهما لم ينتظراه.

وسمعت صوت "ت" يقول: ما الذى تريده من والدىَّ؟

وقلت لنفسى : إنه يضحك الآن.

ولكنه لم يضحك، كان ينظر إلىَّ فقط.

هل يتوقع أننى سأصيده.

ولمعت فجأة عيناه.

لمعة الارتياع.

وقلت له إنى أريد أن أتكلم مع أبويك عنك ولكنهما للأسف ليس لديهما الوقت.

عنى؟

وابتسم بشماتة.

ووقف الشغوف أمامى كأنه أبله.

وبدا وكأنه ينصت لشىء.

ما الذى يحوم حوله؟

ما الذى ينصت إليه؟

هل هم أجنحة الغباء؟

وأسرعت بالانصراف.

الطعم

وجدت فى البيت مظروفا أزرق اللون. إنه من النادى. وتمنيت أنهم لم يلحظوا شيئا غريبا وبدأت قراءته، كان مكتوبا فيه: التقرير الثامن من النادى. بعد ظهر أمس كان "ت" فى سينما كريستال ولما خرج من السينما تحدث مع سيدة شيك ولا شك فى أنه كان قد قابلها فى الداخل وذهب مع السيدة إلى رقم 76 فى شارع "واى"، وبعد نصف ساعة شوهد هو والسيدة أمام الباب وودعها وذهب إلى البيت ونظرت إليه السيده وهو ينصرف وكانت متجهمة الوجه وبصقت خلفه ومن الممكن أن لا تكون هذه سيدة، كانت طويلة وشقراء ولم نلحظ شيئا غير هذا.

وابتسمتُ بشماتة.

إن "ت" مهذب ولكن هذا لا يهمنى.

ولماذا تقلص وجهها؟

إنها لم تكن امرأة بالتأكيد ولماذا قطبت جبينها؟

وقررت أن أذهب إليها وأسألها.

فأنا أريد أن أتتبع كل خطوة حتى وإن كانت صغيرة وتافهة.

وإن لم يبلع الطعم فسأصيده بشبكة. شبكة من السلك لا يستطيع الخلاص منها.

ذهبت إلى رقم 76 فى شارع "واى" وسألت البوابة عن الآنسة الشقراء، وقاطعتنى وقالت: الآنسة نيللى تقيم فى رقم 17.

فى هذا البيت يقيم أناس مهذبون.

طرقت على بابها، وفتحت الباب سيدة شقراء وقالت: طاب صباحك، ادخل.

أنا لم أكن أعرفها.

كان هناك معطف أخضر اللون معلقا فى الصالة وكانت هناك قبعة حمراء على المنضدة. لقد كانت هى.

وغضبت لأننى قد أتيتها فقط لأسأل عن أشياء، ووعدتها بأجر إن أجابت أسئلتى، ولم تعد غاضبة بعد هذا. ولكنها كانت تنظر إلىَّ بشك وحاولت تهدئتها قائلا لها: إننى لست من الشرطة. وإنى أريد فقط أن أعرف لماذا بصقت خلف الشاب الصغير محتقرة له؟

قالت لي: أعطنى المال أولا!

وأعطيتها المال.

جلست مستريحة على الأريكة وقدمت لى سيجارة.

وقالت لى إنها لا تحب الحديث عن هذا.

وكانت كثيرا ما تصمت أثناء كلامها.

وقالت فجأة: سأوضح لماذا بصقت. لقد كان مقرفا بالنسبة لى.

وكانت ترتعش.

كيف؟

هل تتخيل أنه كان يضحك ؟

يضحك؟

ولقد انتابنى البرد وثار هياجى لدرجة أنى صفعته! وذهبت مسرعة ووقفت أمام المرآة. وقال إن صفعتى لم تترك أثرا فى وجهه! لقد كان يبحلق دائما ودائما. ولو كان الأمر بيدى فلن ألمس هذا الشاب مرة أخرى ولكنى للأسف يجب أن أكون تحت أمره مرة أخرى.

مرة أخرى؟ من الذى يجبرك على هذا؟

أنا، نيللى لا أسمح لأحد أن يجبرنى على شىء، ولكنى أقصد بهذا أن أقدم معروفا لشخص ما بوجودى مع ذاك المقرف مرة أخرى، ويجب علىَّ أن أمثل أنى سعيدة به وواقعة فى حبه.

هذا الشخص أنا مدينة له بالشكر

من هو؟

لا، لن أخبرك شيئا عنه. لستُ التي تخبر عن رجلٍ غريبٍ.

ولكن ما الذى يريده هذا السيد الغريب؟

دققت فِيَّ النظر وقالت فى بطء:

إنه يريد أن يصطاد السمكة.

وبسرعة وانزعاج قلت : ماذا؟ سمكة؟

وخافت جدا.

وسألتنى وهى تطفئ السيجارة : ماذا حدث لك؟ وقالت: لا، لا، لن تقول أى كلمة أكثر من هذا.

إنك يبدو كما لو كنت إنسانا مجنونا. فلنخرج!

خرجت وأنا أترنح ومشوش الفكر.

من يريد أن يصطاد السمكة؟

ما الذى يحدث؟

من هو السيد الغريب هذا.

فى الشبكة

لما وصلت البيت استقبلتنى الخادمة قائلة لى إنه هناك سيد غريب ينتظرنى منذ نصف ساعة، وأنها فى قلق منه، فيبدو أن به شيئا غير طبيعى.

إنه فى الصالون.

سيد غريب؟

ودخلت حجرة الصالون.

كان المساء قد حل، وكان يجلس فى الظلام.

أضأت المصباح.

أه، إنه "يوليوس قيصر"!

وقال: أخيرا!

أصغ إلىَّ الآن، يا صديقي!

ماذا حدث؟

أنا اصطدت السمكة.

ماذا!؟

نعم، فهو يعوم حول الطعم.

وهو يقترب منه أكثر.

وسيبلعه مساء اليوم. تعال معى، فيجب علينا أن نسرع.

إن آلة الصيد موجودة وقربت ساعة الصفر.

أىّ آلة؟

سأشرح لك كل شىء.

إلى أين سنذهب؟

إلى الزنابق.

إلى أين؟!

كيف أقول هذا لطفلى الصغير؟

إن الزنابق حانة شرب حقيرة.

كان يمشى بسرعة وبدأ المطر يهطل.

وقال إن المطر شىء جيد، فمع المطر سيبلع الطعم.

وضحك.

وصرخت قائلا: اسمعني! ما الذى تنويه؟

سأحكى لك كل شىء عندما نجلس. تعال و إلا سنبتل!

ولكن كيف تَأَتّى لك أن تصيد السمكة دون أن تعلمني؟!

لقد أردت أن أجعلها مفاجأة لك، فلا تفسد عَلَيَّ سعادتي بالمفاجأة.

وتوقف فجأة على الرغم من أن المطر قد ازداد وكان مبتلا جدا.

نظر إليَّ وقال في بطء:

إنك تسألني لماذا اصطاد السمكة؟

لقد حكيت لي عنه منذ أيام، ألا تذكر؟

وجلست على منضدة أخرى وفكرت في حزنك بسبب الفتاة وقررت أن أساعدك.

هل تتذكر عندما ذهبت للجلوس على منضدة أخرى؟

أنا أظن أنك كنت تكتب خطابا.

خطابا؟

نعم، صحيح. الخطاب الذى كتبته لوالديَّ.

وعندما قررت دعوت الرب أن يساعدنا.

وترنحت.

وسمعت صوت قيصر يقول:

ماذا بك؟ إنك شاحب الوجه.

لاشيء! لا شيء!

إن الوقت قد حان، وسنشرب الخمر!

ربما!

ظل المطر ينهمر وازداد.

وارتجفت.

ورأيت الشبكة للحظة.

الطالب "ن"

لم يكن سهلا علينا أن نعثر على الزنابق؛ لأن المنطقة بأكملها مظلمة.

لم يكن هناك أى ضوء بالداخل.

ولكن الجو كان أدفأ وعلى الأقل فلم تكن قطرات المطر تصل إلينا هناك.

واستقبلتنا صاحبة الحانة بقولها:

إن السيدات موجودات هنا بالفعل.

وأشارت إلى اللوج الثالث.

قال قيصر: برافو! وأسر إلىّ قائلا:

إن السيدات هن طعمى. إنهن الدود الذى أستخدمه طعما.

كانت نيللى فى اللوج الثالث وكان معها سيدة سمينة.

عرفتنى نيللى للبرهة الأولى ولكنها سكتت بحكم العادة.

وابتسمت باقتضاب.

وسألتُ فى عجلة: أين السمكة؟

قالت السيدة السمينة وكانت تبدو حزينة فى تلك اللحظة:

لم يظهر بعد.

قالت نيللى وهى تضحك ضحكة جميلة:

لقد تركنى أنتظره هنا.

وقالت السيدة السمينة فى استسلام:

لقد انتظرته ساعتين أمام السينما.

وصححت لها نيللى وقالت: بل ساعتين ونصف.

وتوقفت عن التبسم وقالت: أنا سعيدة لأن المقرف لم يأت.

وقدمنى قيصر للسيدتين قائلا: هذا زميل محترم.

تفحصتنى السيدة السمينة ونظرت نيللى فى الفراغ وعدلت حمالة صدرها.

وجلسنا. ودفأتنا الخمر.

كنا نحن فقط الزبائن الموجودون.

ارتدت صاحبة الحانة نظارتها وقرأت فى جريدة وانحنت على البار وكانت تبدو وكأنها تصم أذنيها.

إنها لا تعلم شيئا ولا تريد أن تعرف شيئا.

كيف يمكن أن تكون السيدتان هما الطعم؟

وسألت قيصر: ما الذى يجرى هاهنا؟

وانحنى ناحيتى وأسر لي:

لم أكن أريد أن أطلعك، يا زميلى العزيز، فى الأساس على شيء؛ لأن هذا كان وسيظل موضوعا وقحا وحقيرا.

ولا ينبغى أن تكون لك علاقة به.

ولكنى فكرت فى أنه لن يضر أن نحصل على شاهد آخر.

فنحن أى السيدتان وأنا أردنا أن نعيد الواقعة.

تعيدونها؟ نعم. كيف؟

كنا نريد أن يعيد السمكة جريمة القتل.

يعيدها؟

نعم. ولكن بعد خطة محكمة وموضوعة أردت أن يعيد الأمر مرة أخرى فى سرير. فى سرير؟

وأشار إلىّ وقال: انتبه أيها الزميل التغزيز، إن الآنسة نيللى كان يجب عليها أن تنتظر السمكة أمام السينما، لأنه يظن أنها تحبه.

وضحك.

ولكن الآنسة نيللى لم تضحك ولكنها قطبت جبينها وبصقت.

ابتسمت السمينة وقالت: لا تبصقى هنا!

إن البصق بهذه الصورة ممنوع إداريا.

وقالت نيللي: إن المؤسسات...

وقاطعها قيصر قائلا: لا سياسة! والتفت إليَّ وقال: هنا فى هذا اللوج يجب أن نجعل عزيزنا السمكة يسكر حتى لا يمكنه العوم بعد ذلك فيمكننا أن نصيده بأيدينا،

ثم تذهب به السيدتان إلى الغرفة ثم يتطور الأمر منطقيا وعقليا إلى ما يلي:

ستسقط نيللى وتتمدد على الأرض وسيغطيها ذلك الطفل، ثم تنقض السمينة على السمكة وهو نائم وتصرخ بأعلى صوتها: ما الذى فعلته؟ ماذا ارتكبت بحق الرب؟

وسأدخل الحجرة وأنادي: البوليس!!

وسألقى فى روعه أنه قتل نيللى لما كان سكرانا تماما بنفس الطريقة التى قتل بها ذلك الشخص فى ذاك الوقت. فنحن قد أعددنا عرضا وسنعطيه درسا.

وأراهن يا زميلى أنه سيعترف.

وإن قال كلمة واحدة فسأسحبه على الأرض.

وضحكت.

ونظر إلىَّ فى استياء وتبرم.

وقال: عندك حق، فالعبد فى التفكير والرب فى التدبير.

وحتى إذا ما كنا سنغضب إن لم يبلع الطعم، فمن الممكن أن يكون فى هذا الوقت يتقلب فى الشبكة.

وفكرت وسألت: فى الشبكة؟

وسمعت قيصر يقول: اضحك أنت فقط!

إنك تفكر فى الفتاة البريئة فقط ولكنى أفكر أيضا فى الشاب الذى قُتِلَ.

أنصتُ إليه وسألته: أتفكر فى الشاب الذى قتل؟

آه ، صحيح، "ن" لقد نسيتّه تماما.

أما أنا فكنت أفكر فى الجميع حتى أنى كنت أفكر فى والديه مع أنى لا أحبها ولكنى لم أفكر فيه ولم أعد أتذكره.

نعم، "ن" الذى ضُرِبَ بحجر.

ولم يعد له وجود.

الشبح

خرجت من الزنبقة (الحانة).

عدت إلى بيتى ولم يتركنى التفكير فى "ن" الذى كنت قد نسيته.

اصطحبتنى هذه الأفكار إلى حجرتى وإلى سريرى.

وأردت أن أنام.

ولكن النوم لم يواتنى.

وكنت أسمع "ن" دائما يقول: لقد نسيت تماما، سيدى المدرس، أنك تتحمل بعض الذنب فى قتلى. من الذى فتح الصندوق؟ أنا أم أنت؟ ألم أطلب منك، سيدى المدرس، فى ذلك الوقت أن تساعدنى؛ لأنى لم أفعل ولكنك أردت أن تنهى هذا الحساب. أنا أعرف أن كل شىء انقضى.

نعم، فقد انقضى كل شىء.

ومرت الساعات وبقيت الجراح.

ومرت الدقائق أسرع.

وكانت الساعة تدق أسرع.

وسمعت "ن" مرة أخرى يقول لي: سيدى المدرس، أتذكر حصة التاريخ فى الشتاء الماضى وكان الدرس عن العصور الوسيطة وقد حكيت لنا أن الجلاد كان يتقدم إلى المذنب بطلب الصفح قبل أن يقتله بسبب الألم العظيم الذى سيسببه له؛ لأن الذنب لا يمحوه إلا الذنب.

وفكرت: هل أنا جلاد؟

هل يجب على أن أطلب السماح من "ت"؟

ولم تدعنى تلك الأفكار.

ووقفت.

إلى الخارج. إلى أبعد مكان ممكن.

انتظر!

كان "ن" يقف أمامى.

ولم أمر.

ولم أكن أريد أن أسمعه.

لم تكن له عينان ولكنه لم يصرف نظره عنى.

أضأت النور ونظرت إلى الأباجورة.

كانت مليئة بالتراب.

كنت أفكر فى "ت".

هل كان يعوم قريبا من الطعم؟ أم؟

وسألنى "ن" فجأة:

لماذا تفكر فى نفسك فقط؟

فى نفسى؟

إنك تفكر فى السمكة ولكن السمكة وأنت، سيدى المدرس، أصبحتما شيئا واحدا.

شىء واحد؟

إنك تريد أن تصطاده، أليس كذلك؟

نعم، حقا ولكن كيف أكون أنا والسمكة نفس الشىء؟

هل نسيت، سيدى المدرس، الجلاد الذى يطلب الصفح من المذنب الذى تحدثت عنه فى تلك الحصة؟

وقلت إن الذنب لا يمحوه إلا الذنب وإنً الجلاد يتوحد مع المذنب فى نفس واحدة ويسرى المذنب فى الجلاد.

هل تفهمنى، سيدى المدرس؟

لا، فأنا لا أريد أن أعرف شيئا الآن.

هل تملكنى الخوف؟

وسمعت "ن" يقول: إنك تستطيع أن تصطاده الآن، ولكنك تتركه يعوم بل وبدأت تشفق عليه وترثى له أيضا.

صحيح، فليس عند أمه وقت له.

وسمعته يقول: يجب أن تفكر فى أمى أيضا، سيدى المدرس، وتفكر فِيَّ قبل أى شىء حتى وإن لم تصطد السمكة بسببى، بل بسبب الفتاة التى ما عدت تفكر فيها.

من ساعات.

كيف تبدو؟

وكانت برودة الجو تزداد.

أنا أكاد أعرفها.

نعم، نعم، فقد رأيتها مرة ولكنها كانت فى ضوء القمر وكان السحاب يغطيه. ما لون شعرها؟

هل هو بنى؟ أم أشقر؟

هذا مثير للسخرية. فأنا لا أعرف.

وارتعشت.

وأمام المحكمة؟

كل ما أعرفه هو كيف كانت تنظر إلىَّ قبل أن تقول الحقيقة وعندها أحسست أننى يجب أن أساعدها.

سمعنى "ن" وقال:

هل نظرت إليك؟

نعم.

ووجدت نفسى أفكر فى عينيها.

ولكنها سيدى المدرس ليس لديها هاتين العينين، فعيناها صغيرتان شيطانيتان وغير مريحتين وكانت تتلفت يمينا ويسارا، نعم فهما عينا لص.

عينا لص؟

نعم.

وفجأة ظهر عليه الاحتفال.

وقال: سيدى المدرس، إن العينين اللتين رأيتهما لم تكونا عينى الفتاة بل عينان أخريان.

عينان أخريان؟

نعم.

الغزال

سمعت جرس الباب في منتصف الليل.

من الذى يدق الجرس؟

أم ترانى خدعت؟

لا، فقد دق الجرس مرة أخرى.

قفزت من السرير ولبست معطفى وخرجت مسرعا من الغرفة، ولما خرجت كانت الخادمة هناك تقف نصف نائمة ومنكوشة الشعر.

وسألت: من؟

وناديت من خلف الباب بصوت مرتفع: من؟

بوليس.

صرخت الخادمة: يا إلهى وفزعت وسألتني:

ما الذى فعلته، سيدى المدرس؟

دخلوا، كانوا ضابطين، وسألا عنى.

أنا هو.

نريد أن نستجوبك فقط.

ارتد ملابسك وتعال معنا!

إلى أين؟

ستعرف فيما بعد.

لبست ملابسى بسرعة وتساءلت ما الذى حدث؟

ثم جلست فى سيارة وظل الضابطان صامتين.

إلى أين سنذهب؟

بدأت تنتهى البيوت الجميلة ثم مررنا على البيوت القبيحة ثم مرت السيارة بالشوارع الفقيرة ووصلنا إلى حى الفيلات.

وخفت.

وقلت: أيها السادة، ما الذى يحدث بحق الرب؟

ستعرف فيما بعد.

وصلنا إلى المحطة النهائية ولكن العربة استمرت فى السير.

نعم، فقد عرفت إلى أين ستستمر الرحلة.

كانت البوابة مفتوحة وسارت بنا السيارة إلى الداخل ولم يتقدم أحد ليستأذن لنا.

كان فى الصالة أناس كثيرون.

عرفت البواب والخادم الذى كان قد قادنى إلى الصالون.

كان يجلس على المنضدة ضابط ذو رتبة كبيرة ومعه محقق.

كان الجميع ينظر إلىَّ فى ريبة وعداوة.

ما الذى فعلته إذا.

قال الضابط ذو الرتبة الكبيرة لي: اقترب!

اقتربت.

ما الذى تريدونه منى الآن؟

سنلقى عليك بعض الأسئلة. لقد أردت أن تقابل السيدة بعد ظهر أمس وتتحدث معها. ونظر ناحية اليمين.

ونظرت حيث نظر.

كانت تجلس هناك سيدة فى فستان سهرة، وهى معتنية بنفسها. آه، إنها أم "ت".

ونظرت إلىَّ بكراهية.

لماذا؟

وسمعت الضابط يقول لي: أجب!

قلت: نعم، لقد أردت أن أتحدث مع السيدة ولكنها لم يكن لديها وقت لى للأسف.

وما الذى أردت أن تقوله لها؟

سكت، ولم يكن لهذا معنى.

لا، فأنا لا أريد أن أكذب مرة أخرى.

ورأيت الشبكة.

بدأت أتكلم ببطء وقلت: لقد أردت أن أقول للسيدة إننى أتهم ابنها.

ولم أزد على هذا. ووقفت والدة "ت".

وصرخت قائلة: كذب! كل هذا كذب! إنه هو المذنب فقط، هو وحده، فقد قاد ابنى إلى جريمة القتل.

وتقلقلت.

حرضته على القتل؟!

وصحت: ما الذى يحدث إذا؟!

وأمرنى الضابط بالهدوء.

وعرفت عندئذ أن السمك كان يعوم فى الشبكة وأُخْرِجَ من الشبكة ولم يعد يتقلب ولا يتخبط. لقد نجا.

لما رجعت الأم قبل ساعة إلى المنزل وجدت ورقة على منضدة فى الحمام مكتوب عليها إن المدرس قادنى إلى جريمة القتل.

أسرعت الأم إلى حجرة "ت" ولكنه لم يكن هناك. وأعلنت حالة الطوارئ فى البيت وفتش البيت ولم يعثر عليه وبحث الجميع فى الحديقة وكانوا ينادونه: "ت"! ولكنهم لم يتلقوا إجابة.

وعثروا عليه بعد فترة بالقرب من المقابر.

كان قد شنق نفسه هناك.

تفحصتنى أمه.

ولكنها لم تبك.

وورد بخاطرى أنه لا يمكنها أن تبكى.

وعرض الضابط الورقة على.

كانت الورقة مقطوعة.

وليس عليها توقيع.

وورد بخاطرى فجأة أنه ربما يكون قد كتب أشياء أخرى.

ونظرت إلى أمه.

وسألت الضابط: هل هذا كل شىء؟

وصرفت الأم نظرها عنى.

وقال الضابط: نعم، هذا كل شىء. وطلب منى أن أوضح الأمر.

كانت أمه امرأة جميلة. وكانت فتحة فستانها من الخلف أكبر منها فى الأمام.

ولا شك فى أنها لا تدرى ألا يجد الإنسان ما يأكله.

كان حذاؤها جميلاً وجواربها شفافة وتبدو كما لو كانت لا ترتدى جوارب ولكن أرجلها سمينة. ومنديلها صغير.

ما رائحته؟

لا بد وأنها تستعمل عطرا غاليا.

ولكن ليس من المهم بأى عطر تتعطر.

وفى الفترات التى لا يقود فيها والده الفرقة يشم منها رائحتها هى.

ونظرت إلىَّ باشمئزاز وسخرية.

كانت عيناها براقتين ومستديرتين.

ألم يقل لى "ت" عندما كنا فى محل الحلوى:

سيدى المدرس، إن عينىَّ ليستا كعين السمكة، بل كعين الغزال، هذا ما تقوله لى أمى دائما؟

ولكنه لم يقل إن لها نفس العينين.

ولم أعد أدرى.

وشخصت النظر فى أمه.

انتظرى أيتها الغزالة.

فستظهرين وتقتربين من الناس.

ولكنى سأمنعك وأصيدك عندئذ.

وسأعيدك إلى الغابة حيث يصل ارتفاع الثلوج إلى متر.

حيث ستختبئين فى الثلوج.

وتموتين فى الثلج جوعا.

انظرى إلىَّ، فأنا أكلمك!

العيون الأخري

وتحدثت عن الشاب الغريب الذى قتل "ن" وقلت إن "ت" كان يريد أن يرى كيف يأتى الإنسان وكيف يذهب، كيف يولد وكيف يموت، وكل ما بينهما. أراد أن يعرف كل شيء بالضبط. كان يريد أن يسبر غور كل شيء، ولكن ليتعالى فقط ويترفع ولم يعرف رعدة ولا رعشة؛ لأن خوفه كان جبنا فقط. وكان حبه للحقيقة فقط كره لها.

وبينا كنت أتحدث أحسست براحة وأننى أصبحت لا أخف، لأنه لم يعد هناك "ت".

هل يسعدنى هذا؟

نعم، نعم، يسعدنى.

ولكنه بالرغم من كل الذنوب والآثام فإن الأمور تكون أجمل إذا ما قضى على المذنب.

وحكيت كل شيء.

وقلت: أيها السادة، هناك مصنع لقطع الأخشاب لم يعد يعمل وهناك أطفال يلونون لعب الأطفال فى الظلام.

وسألنى الضابط: ما علاقة هذا بنا؟

ونظرت الأم إلى خارج النافذة.

كان الظلام قد حل.

وبدت وكأنها تنصت إلى شيء.

هل هى وقع أقدام؟

وانفتح الباب.

وقلت فى نفسي: إنه ليس هناك معنى لإنهاء الحساب.

وسمعت كلماتى ونظرت الأم إلىَّ مرة أخرى.

وسمعت نفسى أقول: من الممكن أن أكون قد أقحمت ابنك فى جريمة القتل وتوقفت.

لماذا تضحك الأم؟

هل جنت؟

وبدأ صوتها يعلو بالضحك.

لقد أصابتها نوبة غضب.

فبدأت تصرخ وتنهنه.

وسمعت كلمة واحدة فقط، هى (الرب).

ثم قالت: لا معنى لكل هذا!

وحاول الناس تهدئتها.

ولكنها لم تهدأ.

وأمسكها الخادم بقوة.

وكانت تصيح بصوت نائح وتقول: إنه يعمل، إنه يعمل.

ماذا؟

هل هو مصنع الأخشاب؟

هل رأت الأطفال الذين يجلسون فى الظلام؟

هل ظهر السيد، يا سيدتى، الذى لا يراعى وقتك؛ لأنه يمر فى كل الشوارع سواء أكانت واسعة أم ضيقة.

واستمرت فى هياجها.

وسقطت من يدها قطعة ورق كما لو كان أحد قد ضربها على يدها.

ورفعها الضابط.

كانت ورقة مطوية.

لقد كانت بقية الورقة المقطوعة والتى كان مكتوب فيها: لقد حرضنى المدرس على الموت. وعلى الجزء الآخر كتب "ت" لماذا

حرض على الموت، وهو لأنى عرفت أن المدرس يعرف أننى من قتل "ن" بالحجر.

وحل الصمت فى المكان.

وبدت الأم وكأن قوتها قد خارت.

وجلست ولكنها لم تهدأ.

وضحكت مرة أخرى فجأة ونظرت إلىَّ.

ما هذا؟

لا، فلم تكن هى.

لم تكن عيناها.

هادئة كالبحيرات فى الغابات القريبة من منزلى وحزينة كالأطفال الذين يعيشون بلا ضوء.

وفكرت فى أن الرب ينظر إلينا.

وظننت أولا أن عينيه خبيثتان ولا تتحركان.

لا، لا.

لأن الرب هو الحقيقة.

وسمعت الصوت يقول لي: قل إنك من فتح الصندوق! اعمل فِيَّ معروفا ولا تجعلنى أتألم!

وذهبت الأم فى بطء إلى الضابط وبدأت تقول بصوت خفيض: لقد أردت أن أتجنب الفضيحة، ولكن عندما تحدث المدرس عن الأطفال الذين يعيشون فى الظلام فكرت فى أنه لا قيمة لأى شىء.

عبر البحار

غدا سأسافر إلى أفريقيا.

وضعت خادمتى زهرة على حقيبتى للوداع.

وكتب لى والدايَ أنهما سعيدان لأننى قد حصلت على فرصة عمل ويحزنهم أننى سأسافر بعيدا وأعبر المحيط.

ووجدت خطابا آخر، أزرق اللون.

"تحياتنا القلبية إلى السود. النادى"

زرت إيفا أمس.

كانت سعيدة الحظ باصطياد السمكة. ووعدنى القس بأنه سيهتم بها عندما تخرج من السجن.

نعم، إن لها عينى لص.

أوقف النائب العام القضية ضدى وتحرر "ز" وبدأت أحزم حقائبى.

وأهدانى " يوليوس قيصر" رأس الميت ولم أفقدها.

احزم كل شىء ولا تنس شيئا!

لا تترك شيئا!

الأسود سيسافر إلى السود.

المؤلف فى سطور:
أودن فون هورفات

- ولد أودن فون هورفات فى التاسع عشر من ديسمبر عام ١٩٠١، فى مدينة سوزاكى / فيومى بالمجر. كان والده يعمل بالحقل السياسى، وانتقل فى عام ١٩٠٢ إلى مدينة بلجراد، وفى عام ١٩٠٨ انتقل إلى مدينة بودابست، وعندما انتقل والده فى عام ١٩٠٩ إلى مدينة ميونخ تركه فى مدرسة داخلية تابعة للكنيسة فى مدينة بلجراد. أرسله والده عام ١٩١٩ إلى المدرسة الثانوية فى مدينة فيينا عند أحد أخواله. وبعد حصوله على الثانوية سافر إلى مدينة ميونخ لدراسة المسرح.
- فى عام ١٩٢٠ صدر أول إنتاج أدبى له وبعد زيارة لمدينة باريس لعدة أسابيع قرر السفر والبقاء فى مدينة برلين.
- وعلى مسرح أوسنر بروك عرضت له مسرحية "كتاب الرقص"، كما عرضت له مسرحية فى هامبورج عن كتاب "ثورة فى حى الريفيرا رقم ٣٠١٨"، ثم عرضت فى برلين تحت اسم "قطار الجبل".
- حصل على عقد من دار النشر "ألول اشقين" ككاتب حر فى عام ١٩٢٩.

-ظهرت أول قصة طويلة له فى عام ١٩٣٠، تحت اسم "المتحذلق الأبدى". وفى عام ١٩٣١ عرضت له فى برلين مسرحية "ليلة إيطالية".

- حصل مع الكاتبة أركا رجر على جائزة كليست للأدب؛ بناء على ترشيح من الأديب كارل إتسيكر، وعُرض له فى ذاك العام أيضًا مسرحية "قصص من الغابات فى فيينا"، أما مسرحية "تشمير وكارولينا"؛ فقد عرضت فى مدينة ليبزيج، ثم بعد ذلك فى مدينة برلين.

-فى عام ١٩٣٣ اضطر الكاتب لترك ألمانيا والعودة إلى بودابست، بعد أن مر على مدينة سالزبورج، حتى يحافظ على جنسيته المجرية؛ حيث إن طلبه للحصول على الجنسية الألمانية قد رفض أكثر من مرة.

-فى عام ١٩٣٤ عاد إلى برلين؛ لتحضير فيلم سينمائى، وفى العام نفسه عُرضت له فى مدينة زيورخ مسرحية باسم "هنا وهناك".

-أقام فى مدينة فيينا إقامة دائمة، وعرضت له فيها مسرحيات: "الضرب فى الحائط بالرأس"، و"الحب الواجب والأمل". وفى عام ١٩٣٧ عُرضت له فى فيينا مسرحيات: "حراس السماء" و"فيجرو يطلب الطلاق"،

و"قرية بلا رجال"، ثم عرضت له مسرحية "يوم القيامة" فى براغ.

- ظهرت له قصتنا التى تُرجمت إلى ثمانى لغات وهى قصة "شباب بلا إيمان" عن دار نشر دولنج فى مدينة أمستردام، وفى عام ١٩٣٨ ظهرت له قصة طويلة تحت اسم "طفل وقتنا هذا"

- بعد دخول جيوش (هتلر) النمسا، ترك هورفات فيينا وعاد إلى بودابست، ثم سافر فى رحلة طويلة إلى باريس، عبر مدينة براغ وميلانو وزيوريخ وأمستردام.

- فى يوم ١ يونيو ١٩٣٨، وهو فى طريق عودته من السينما إلى الفندق، الذى يسكن فيه، وقع عليه فرع شجرة من أشجار أبو فروة فحطم رأسه ومات فى الحال، تاركًا خلفه كمًّا كبيرًا من المسرحيات والقصص، التى تعرض حتى اليوم على مسارح ألمانيا والنمسا وسويسرا.

- جمعت أعماله في أربعة مجلدات، تضم الأعمال التالية:

المجلد الأول: يحتوى على قصص شعبية، وتمثيليات:

١ - ثورة فى الريفيرا رقم ٣٠١٨.

٢ - قطار الجبل.

٣ - ليلة إيطالية.

٤ - قصص من الغابات فى فيينا.

٥ – كاشمير وكارولين.

٦ – الإيمان بالحب والأمل.

٧ – القتل فى حارة الزنوج.

٨ – صلاح الدين أو الجيش الأسود.

٩ – يوم القيامة.

١٠ – دون جوان يعود من الحرب.

المجلد الثانى: أعمال الكوميديا:

١ – المناظر الجميلة.

٢ – حول المؤتمر.

المجلد الثالث: الشعر والنثر والقصص:

١ – كتاب الرقص.

٢ – قصص خيالية رياضية.

٣ – حكايات ومسودات.

٤ – شباب بلا إيمان.

٥ – طفل عصرنا.

المجلد الرابع: خطط مستقبلية ومتنوعات وملخصات:

١ – أسئلة ومتنوعات.

٢ – نظريات وخطابات وأبيات شعرية.

٣ – المتحذلق الأبدى.

قام بنشر هذه المجلدات الأربعة الكاتبة تراوجوت كريشكا وديتر هيلدبرانت.

المترجم فى سطور:

حسن على محمود رمضان

- أستاذ مساعد بقسم اللغة الألمانية كلية اللغات والترجمة- جامعة الأزهر.
- ولد فى القاهرة، وتلقى تعليمه فى مدارس حى السيدة زينب بالقاهرة، وبعد حصوله على الثانوية العامة عام ١٩٧٢ التحق بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر وتخرج فيها عام ١٩٧٧، وعُين مدرسًا للغة فيها ثم حصل على درجة الماجستير فى اللغة الألمانية وآدابها عام ١٩٨٣، وسافر فى أكتوبر ١٩٨٦ فى بعثة علمية إلى ألمانيا الغربية (فى ذلك الوقت) للدراسة والحصول على درجة الدكتوراه من جامعة كاسل بمقاطعة هسن.
- حصل عام ١٩٩٢ على درجة الدكتوراه من جامعة كاسل/ ألمانيا، وعاد ليُعين مدرسًا بقسم اللغة الألمانية بكلية اللغات والترجمة.
- يعمل حاليًا بالتدريس فى عدة جامعات حكومية، وخاصة فى أنحاء جمهورية مصر العربية.

- له عدة مؤلفات في مجال اللغة كما أشرف ويشرف على العديد من رسائل الماجستير في جامعات الأزهر والمنيا والمنوفية وغيرها من الجامعات.

التصحيح اللغوى: **أشرف خضر**

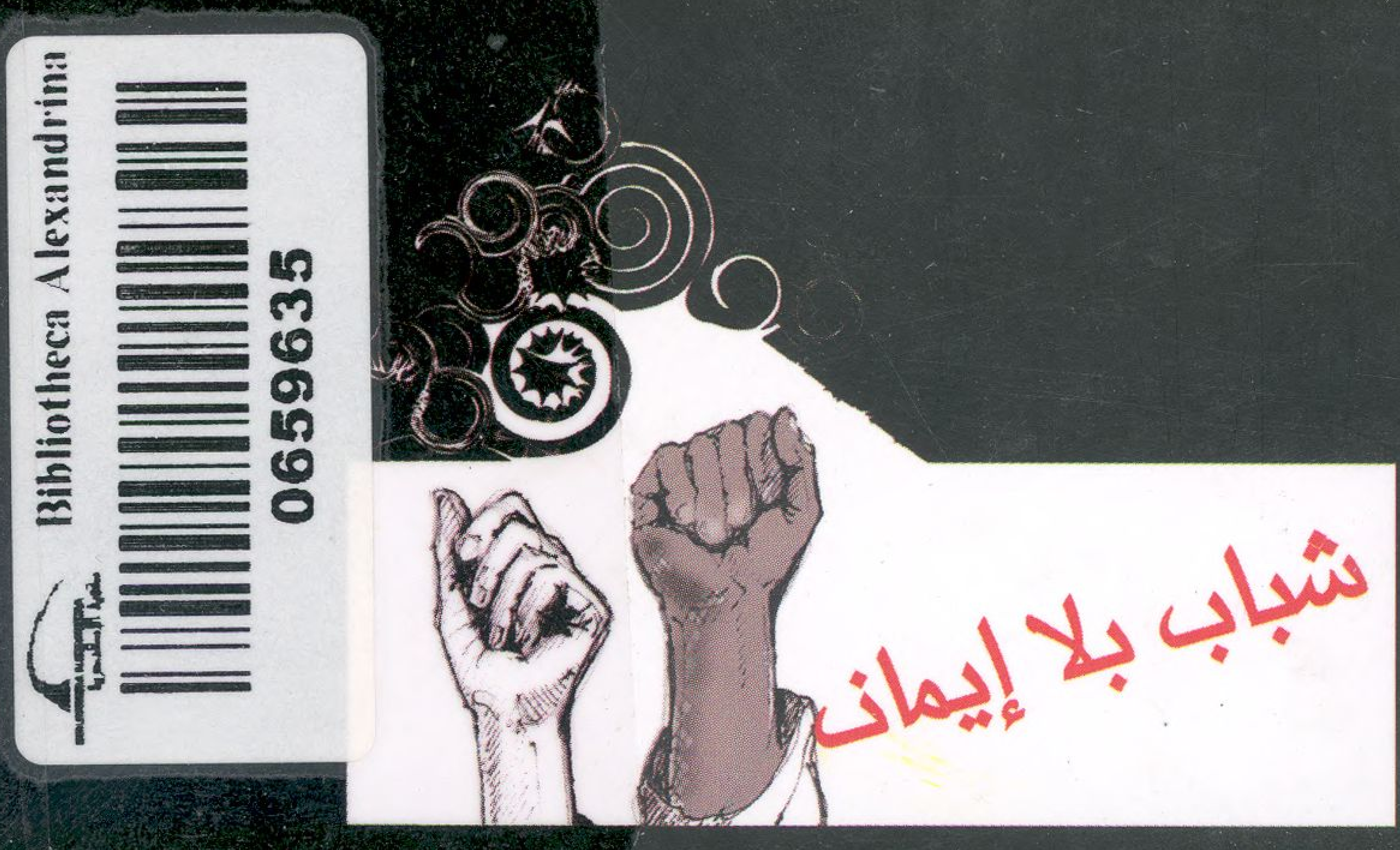
الإشراف الفنى: **حســن كامــل**

التصميم الأساسى للغلاف : **شريف مكى**



قصة "شباب بلا إيمان" ظهرت عام 1937، وهى من أواخر ما كتب (هورفات)، وفى غضون شهور قليلة ترجمت هذه القصة إلى الفرنسية، والبولندية، والكرواتية، والتشيكية، والسويدية، والهولندية، والدانمركية. وقد أرسل (توماس مان) لـ(تسوكر مان) يمتدح هذه الرواية، ويقول عنها: إنها من أجمل الروايات التى ظهرت فى ذلك الحين.

وقد حاولت أن أخرج لجمهور المثقفين، والمهتمين بالأدب العالمى، قصة من قصص أديب نمساوى الجنسية، ينتمى إلى كل من المجر، والنمسا، وألمانيا، ولكنه لم يستطع أن يعيش فى ألمانيا بصورة رسمية؛ لكتاباته التى كانت مرفوضة من القائمين على الحكم فى ذاك الوقت، والتى - لأسباب كثيرة، منها ما يرجع إلى ظروف عالمية، أو ظروف إقليمية - لم تر النور بصورة واضحة، وجلية إلا بعد أن رحل بفترة زمنية كبيرة، فقد رحل الأديب النمساوى (أودون فون هورفات) عام 1937 فى حادث سقوط جذع شجرة كبيرة عليه فى باريس، ولم تظهر أعماله وتجمع إلا فى مؤتمر كبير عنه فى أكتوبر عام 1971.



الإبداع القصصى

تصميم الغلاف: نسرين كشك